تحت أضلاعهم
سلمونى هبة الرحمان
رواية

نوع العمل :

رِواية

اسم الرواية :

تحت أضلاعهم

تألـيف :

سلموني هبة الرّحمان

كان عمود الإنارة الوحيد في الزقاق الخلفي يرمش بضعف وكأنه على وشك الانطفاء إلى الأبد ، وقفت على ضوئه الخافت " نورا" بملابس سوداء بالية يلفها صمت الليل الثقيل وفي يدها ورقة صفراء مهترئة تزدحم بأسماء كتبتها بحبر أحمر داكن كأنه نزف من جروح قديمة .

" **قائمتي....**" همست بصوت أجش .

مرت ريح عابثة حرّكت أطراف الورقة وكشفت عن الأسماء واحدا تلو الآخر

- **علي حسن** (المدرس الذي ضربها بالقلم حتى كسر سنها حينما سألته عن والدها السجين)
- **لمياء عبد الرحمان** (الجارة التي أغلقت الباب في وجهها يوم ماتت أمها)
- **أنور زاهي** (التاجر الذي أحرق شعرها بالسجائر لأنها طلبت منه الطعام)

تحت كل اسم ، تاريخ ، وملاحظة قصيرة .

- "طعم بنكرياسه مر مثل صوته

- "كان حلوًا جدًا... كأنه يحوي كل دموعها المسكوت عنها ؟
- مدخن كأنه شواء طُبخ على نار..لا بأس به

رفعت نورا عينيها نحو القمر المنقوص، وكأنها تبحث عن إجابة في وجهه المشوه ،**"لماذا أصبحتُ هكذا ؟ "**

سألت نفسها للمرة الألف لكن الذكريات كانت أسرع من إجابتها .

ومضات من الماضي :

كان عمرها عشر سنوات عندما دخلوا البيت ليلًا. رجال الأمن أخذوا والدها أمام عينيها بينما أمها صرخت حتى انهارت ميتة من الخوف، بقيت وحدها في الشارع تبحث عن قطعة خبز في القمامة وذات يوم وجدتها" هالة " أطعمتها ثم أغلقت الباب عليها في القبو وأصبحت تحرسها هي وزوجها بالتناوب... حيث تحولت الى فأر تجارب لا تعرف طعم النوم ،و في إحدى الليالي ،بينما كانت هالة تنام مخمورة وزوجها منشغل بشيء ما وجدت نورا سكين المطبخ.... وأول ضحية علمتها أن اللذة لا تأتي فقط من الانتقام بل من **تذوق الجزء الذي يخبئ الألم**

عادت إلى الحاضر وإصبعها يرتجف فوق الاسم الرابع في القائمة "هالة عبد الغني"

"ستكون الأخيرة ...ثم ربما استطيع النوم " لكن قبل أن تطوي الورقة ،سمعت صوت طفل صغير خلفها :

" أنتِ الجانية التي يتحدث عنها الجميع ، أليس كذلك ؟ "

التفتت فجأة ..لترى صبيًا أشقرًا بعينين زجاجيتين يمد نحوها سكينا مطابقا للسكين التي تملكها :

"أمي تقول أنكِ تأكلين المشاعر .. هل يمكنني أن أتعلم منك ؟ "

أغمضت نورا عينيها وشعرت للوهلة الأولى أن اللعبة قد تتغير...

الفصل الأول : الدم الذي لا يجف

كانت عينا الطفل الزجاجيتان تعكسان ضوء القمر البارد وكأنهما قطعتان من ثلج معلقتان في منتصف ذلك الليل القاتل ،وقفت "نورا" متجمدة بينما كان سكين الصغير يلمع في يده كإبرة مسمومة .

" من أنت ؟ " همست بصوت أجش ويدها تضغط على السكين المخبأة في جيب معطفها .

ابتسم الطفل وكانت شفتاه الممتلئتان تشبهان ثمرة كرز ناضجة أكثر من اللازم **:" اسمي أدهم ... وأنا أعرف كل شيء عنكِ ... "**

حينها مرت ريح حاملة معها رائحة غريبة ،تشبه رائحة كلور مخفف بدم قديم الرائحة نفسها التي كانت تفوح من قبو هالة أيام العذاب . مد أدهم يده الصغيرة نحو قائمة الضحايا التي لا تزال ممسوكة بين أصابع نورا:**"يمكنني مساعدتك في الوصول إلى هالة ... هي تعرف أنكِ تبحثين عنها ، وقد حفرت فخا لكِ "** ، رفعت نورا حاجبها **" ولماذا تساعدني ؟"**

ـ "لأن أمي ماتت بسببها أيضا ... وأنا أريد أن أرى كيف تأكلين بنكرياسها " .

كان صوته ناعما كالحليب ،لكن كلماته كانت كشظايا زجاج جعلتها تشعر باهتزاز غريب في أحشاءها ، إثارة مختلطة بالاشمئزاز فهذا الطفل لم يكن طفلًا ...كان وحشًا صغيرًا مثلها تماما لكن هل يمكنها أن تثق به ؟...

أخذها أدهم إلى مبنى مهجور على حافة المدينة . وبينما كانا يسيران في الممرات المظلمة رأت نورا ظلال الضحايا يلوحون لها من إحدى الزوايا

- **علي حسن** يصرخ بينما تنتزع أحشاءه بسكين صدئ
- **لمياء** تتوسل بينما تذوق نورا دموعها المالحة على شفتيها

ـ " **هل ترينهم أيضا** "، سأل أدهم فجأة وكأنه يقرأ أفكارها

أدركت حينها أنه يرى الأشباح مثلها تماما لذا أطلقت زفيرا طويلا لاطمئنانها بأنها ليست الوحيدة التي أصابها الخرف المبكر وتابعت السير كأن شيئا لم يحدث ... بعد سير دام بضعة دقائق وصلوا إلى شقة مهجورة في الطابق الثالث تقدم أدهم نورا في السير ليقودها إلى أحد الغرف حينها فتح خزانة صغيرة في داخلها سكاكين مصفوفة بحرص وجرة تحتوي على سائل أصفر

ـ **" هذا بنكرياس الضحية السابقة ...احتفظت به لأجلك"**

لم تسأل من كان بل أخذت الجرة بيد مرتعشة و فتحتها، فاحت منها رائحة العسل الممزوج بالصدأ لم تقاوم بل غمست خنصرها في السائل ولعقته ببطء .

ـ **" طعمه مثل طفولتي ... حلو وخانق "** . أطلق أدهم ضحكة طفولية وكأنه تلقى إطراءًا من معلمه في المدرسة ثم تحول وجهه الى الجدية وكأنه تذكر شيئا ما ثم أردف قائلا :

ـ **" هالة ستكون هنا بعد ساعة ... هل أنتِ مستعدة ؟ "**

نظرت نورا إلى السكين ثم إلى الطفل -الوحش الذي كان يحدق بها بتلهف، ولأول مرة شعرت بأن هناك من يفهمها لكنها أيضًا

تذكرت شيئا آخر في تلك اللحظة لكن قطع حبل أفكارها سؤال عابر من أدهم :

ـ " **أنتِ لا تريدين التوقف عند هالة ، أليس كذلك ؟** ثم أمسك بيدها مكملا **:" سأكون ظلك من الآن فصاعدًا "** تأثرت نورا من حديثه اللطيف لكن مر طيف خاطر مزعج (و هل ستبقى على هذا الحال الى الأبد ؟) أغمضت عينيها لتشتت تلك الفكرة المؤلمة وفي ظلامهما رأت أحشاء المدينة كلها ممتدة أمامها ،وكأنها وليمة لا تنتهي ...

جالت نورا ببصرها ماسحة المكان وكأنها تبحث عن شيء ما حتى وقعت عيناها على مرآة متشظية وقفت أمامها وقامت بتعديل ربطة عنقها السوداء وهي تبتسم بخبث كما وكأنها تستعد لموعد عشاء رسمي لكن عشاء الليلة كان مختلفا

ـ " **هل تعرفين كيف تقتلين شخصا دون أن يصدر صوتا ؟ "** سأل أدهم وهو يمرر إصبعه على حدّ السكين ، لم تجب كانت تعرف بالفعل فعشر سنوات من القتل علّمتها أن الصمت أهم من السكين نفسها ،

رأت انعكاس الطفل في المرآة وهو يقلب أحد الأدراج الصدئة ثم أخرج منها حقنة مملوءة بسائل أزرق :.

ـ " هذا سيبقيها نائمة ... لكنه لا يمنعها من الشعور بكل شيء"

أخذت منه الحقنة بيد باردة فهالة لا تستحق نومةً هادئة على الإطلاق لكنها وضعتها في جيب معطفها تحسبا لأي شيء فهي تمضي في طريق لا تعرف نهايته ...

خرج الاثنان إلى الشارع حيث الضباب الداكن يغلف المدينة ككفن رطب .كان الوقت بعد منتصف الليل والساعة الواحدة هي التي تظهر فيها أشباح الضحايا لنورا ، رأت علي حسن واقفا قرب باب المقهى القديم جسده الممزق يقطر دما أسود

ـ " لماذا لم تأكلي قلبي أيضا ؟ " ،همس بشفتين ميتتين . كان مظهره مقزز ومخيف جعل نورا تلتفت عنه بسرعة لكن ظهر أمامها ظل لمياء فجأة تشير بإصبعها المقطوع نحو مكانٍ ما في الظلام : **" أنظري هناك ! "** . في تلك اللحظة التفت الجميع الى نهاية الزقاق ليروا هالة تقف بثوبها الأحمر القاتم

تدخن سيجارةً بينما عيناها تبحثان عن شيءٍ ــ أو شخصٍ ــ في الظلام ، **" إنها تعرف أننا هنا ...."** قالها أدهم بابتسامة طفولية تثير القشعريرة

ــ **" لا تكثر من الكلام واتبعني فهذه آخر مرة ترانا هالة فيها "** قاطعته نورا ببرود مخيف جعلته يتوقف عن الكلام .

قاموا بتتبع هالة الى مبنى قديم كان يوما ملهى ليليًّا للأثرياء لكن الآن لم يبقى منه الا خرابا مليئا بأشلاء الذكريات وفي تلك اللحظة كانت الموسيقى الشبحية تُعزف من جدار مهشم

ــ **" أعلم أنكِ هنا ، يا نورا "**صرخت هالة بصوت مزج بين الغناء والتهديد **" أتذكرين كم كنتِ جميلةً حين بكيتِ لأول مرة في القبو ؟ "**، قبضت نورا على السكين حتى ابيضت مفاصلها ثم شعرت بيد دافئة تمسك بيدها **" لا تندفعي ، إنها تريدك غاضبة "** كلمات أدهم المهدئة جعلتها تسترخي قليلا لتفكر في أبشع طريقة لموت تلك الأفعى ،لكن كلماتها كانت كسكاكين تنغرز في جروحها القديمة

" زبائني لم يعرفوا قط أني خلطت دمائكِ مع شرابهم المفضل" ثم أردفت مكملةً **" كنت أطعمكِ أطعمة غريبة ومقززة لأحصل على دماءًا خفيفة من عروقك "**

اندفعت نورا فجأة لكن الأرضية انهارت تحت قدميها ووجدت نفسها في قفصٍ حديديّ تحت الأرض ..

ـــ **" مفاااجأة ! "** أطلقت هالة ضحكة قوية تصم الآذان ثم أردفت مكملة :

ـــ **" هنا حيث ستنتهي حياتك، مثلما انتهت حياة أمّك بالضبط "** قطع حديثها خروج ثلاثة رجال من بين الظلال وجوههم مغطاة بأقنعة جلدية في أيديهم أدوات تعذيب صدئة

قال أحدهم وكان يبدو أقواهم جسديا **:"انها تشبهها بالفعل !"** ،لكن قبل أن يلمسوها ،سمعوا صوتا من الأعلى :

ـــ **" أمي تقول أن اللعب مع الطعام خطيئة "** كان أدهم يقف على الحافة وفي يده قنابل مولوتوف مشتعلة ....

ـ **" أدهم !! لا .... "** صرخت بها نورا محذرة لكنه ألقى بها ..

في تلك اللحظة انفجرت النيران وانتشر الدخان في كل مكان وبدأت هالة تصرخ بينما تأكل النيران ثوبها الأحمر وفي الجهة المقابلة حاول الرجال الهرب لكن الأبواب كانت مغلقة .

ـ **" أظن أنكم تبحثون عن هذا "** رفعوا رؤوسهم الى الأعلى ليروا أدهم في الأعلى يلوح لهم بالمفتاح بينما يضحك بانتصار **" لن أفوت فرصة رؤيتكم تُشوون أيها الحمقى "**

في تلك الفوضى وجدت نورا نفسها وجها لوجه مع هالة المحترقة :

" أنتِ ... ستأكلين بنكرياسي الآن " همست بينما الدم يغلي في عروقها "

ـ أمسكت نورا بالسكين بينما قالت باستهزاء : **" لا ...سأجعلكِ تشاهدينني أقطعه وأنتِ حية "**

بعد ساعات ، خرجت نورا من المبنى المحترق ووجهها ملطخ بالدماء والرماد وفي يدها جرة زجاجية تحتوي على آخر غنائمها كانت تمشي وتتبختر وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة انتصار وفي نفس الوقت تشعر وكأنها نسيت شيئا ما .....أوه ..تذكرت أين أدهم ..وبينما تمسح المكان بعينيها وجدته ينتظرها تحت عمود الانارة يلعق أصابعه الملطخة بالبنزين :

ـــ **" الآن من التالي ؟ "** سأل بنبرة طفلٍ يسأل عن الحلوى

نظرت نورا إلى القائمة الممزقة في يدها والأسماء القديمة شُطبت، لكن هناك صفحات جديدة بانتظار الدم .

ـ **" هذه المرة ...سنبدأ بالأطفال الذين يلعبون في الشارع "** أنهت جملتها الأخيرة وعينيها تتوهجان بلون لم يره العالم من قبل .

الفصل الثاني : عيد القدّيسين الصغار

كانت حافلة المدرسة المهجورة عند حافة الغابة تبدو لمن يراها كحشرة ميتة بزجاجها المحطم يجلس في داخلها خمسة أطفال يرتدون زيًا أزرق وأيديهم مربوطة بحبال لامعة كالتي تُستخدم في حفلات الأعياد .

ـ " **لماذا نلعب معهم بهذه الطريقة ؟"** همس أدهم بينما كان يمرر إصبعه على رقبة أحد الأطفال النائمين بفعل المهدئات

أجابت نورا وهي تشحذ سكينها تحت ضوء القمر : **" لأنهم أطهر ما في هذه المدينة "**ثم أكملت قائلة **:" وأطيب بنكرياس "** .

وفجأة استيقظ أول طفل وكانت عيناه تلمعان بالرعب :

ـ " م ...من أنتِ ؟

ـ " أنا المربية الجديدة " .

وبينما كانت تستعد للضربة الأولى ،سمعت صوتًا مألوفًا يتردد في رأسها : ***" ... نورا .. توقفي ! "*** . كان صوت أمها لم تسمعه منذ اختفائها قبل اثنتي عشرة سنة !

ـ **" هل سمعت ذلك ؟"** التفتت الى أدهم في ذعر ، لكن الطفل الصغير كان منهمكا في نحت رمز غريب على جبين أحد الضحايا :

ـ **" أمي كانت تتحدث إليّ أيضًا ... قبل أن أدفنها تحت أرضية المطبخ "** . سقطت السكين من يد نورا للحظة :

ـ **" كيف عرفت أن ذلك الصوت هو لأمي ؟ "** قالت جملتها بينما ترفع حاجبها .

ـ **" لأنك لست الوحيدة التي سمعته "** التقط السكين من الأرض ومده إليها بينما يبتسم ....

في استراحة قصيرة بين الجريمة والجريمة ،جلست نورا مع أدهم أمام نار مخيمية أشعلوها وسط الغابة :

ـ **" كيف أصبحت هكذا ؟ "** سألته فجأة

ـ **" أعلم أني وسيم لكني لا أملك أية وصفة سرية لهذا الجمال الطبيعي "**

ضربته على رأسه معاتبة **:" لا أقصد هذا أيها الأحمق "**

ـ **" حسنا... حسنا ..كنت أمزح "** ثم أخرج دمية محنطة من جيبه :

ـ **" كانت هذه لأختي ... هالة أخذتها مني في يوم ميلادي السادس، ثم أجبرتني على ..."** توقف للحظة ثم أكمل **:" على أي حال ، البنكرياس كان آخر ما أكلته منها "**

أحست نورا بحرارة غريبة في عينيها ، لأول مرة منذ سنوات أحبت شيئا .

عند الفجر عادوا إلى الحافلة وأكملوا عملهم ،كان الأطفال مربوطين على شكل صليب وأمعاؤهم مكشوفة كأشرطة الزينة .

ـ همس أدهم وهو يغمس يديه في أحشائهم : **" هذا من أجل أختي ..."**

لكن نورا لم تعد ترى الأطفال ...كل ما رأته كان وجه أمها في كل دمعة تسيل على وجوههم ،كانت تهجم على الأطفال بهستيرية وكأنها تبحث عن والدتها بين أضلاعهم ، وقبل أن تطعن الضحية الأخيرة انفجرت أنوار سيارات الشرطة حول الحافلة

ـ صرخ أدهم : **" لنهرب الآن !!!! "**

لكن نورا بقيت واقفة تحدق في البنكرياس الصغير بين يديها :

ـ " اذهب ... أنا سأبقى "

في تلك اللحظة اختفى أدهم بين الأشجار بينما كانت تغمغم بصوت أمها وهي ترفع السكين للمرة الأخيرة ...

كانت أصابع الأطفال ترتعش تحت حبال الحرير الأرجوانية نفس لون الستائر في غرفة معلمتهم التي وُجدت مقتولة ،وقفت نورا تتنفس بعمق تلتقط رائحة البنكرياس الطازج قبل حتى أن تفتح الجثث

ــ همست وهي تمرر السكين على رقبة أصغرهم : **" هؤلاء ليسوا أطفالًا ... إنهم كائنات صغيرة تحمل أحشاء الملائكة "**

جثا أدهم على ركبتيه خلفها يلعق شفهه بلهفة :

ــ " أخبريني... هل تشعرين بهم يرقصون تحت السكين ؟ مثل السمك الصغير في الوعاء ؟ "

رفعت عينيها فجأة فهذا التشبيه يبدو مألوفا .

في الظل المتمايل لأشجار الصفصاف ، جلس الاثنان على كومة من ملابس الأطفال المدرسية الملطخة بالدماء .

ـ سألت نورا بحدة:**" من علمك أن البنكرياس هو مخزن المشاعر ؟ "**

أخرج أدهم من جيبه إصبعا بشريا محنطا مربوطا بخيط:

ـ **" أمي كانت تقول أن الأحشاء تتذكر ...حتى بعد الموت "** ثم بدأ في حديثه بينما يحك رأسه ليتذكر :

" عندما كان عمري خمس سنوات وجدت أمي مشوهة ومقتولة في حوض الاستحمام وبنكرياسها مفقود ...قال أبي أنها هربت لكني كنت متأكدا أنها هي... مرت الأيام وأنا أسمع صوتها يناديني من داخل جدار المطبخ ، وذات ليلة أُصِبت بالجنون وقمت بكسر الجدار فوجدت جرة زجاجية بداخلها بنكرياس ملفوف بأسلاك شائكة والغريب أنه كان ينبض ...أكلته ومنذ ذلك اليوم أصبحت تكلمني من داخلي . "

شعرت نورا بجفاف مفاجئ في حلقها وقبل أن ترد ، انفجر ضوء أزرق من بين الأشجار كان مسجل صوت صغير معلقًا على غصن يبث صوت امرأة تبكي ***:" نورا..سامحيني .. لم أكن أمك الحقيقية"***

كان صوت الأم الذي سمعته طوال سنوات ... **" هذا مستحيل ! "** صرخت بغضب وهي تحطم الجهاز بحجر التقطته من الأرض .

ضحك أدهم بينما قال : **" هالة كانت تضع هذه الأجهزة في كل مكان لتجعل الضحايا يهلوسون "**

هدأت نورا قليلا ثم عادا الى الحافلة لينهوا الوليمة الأخيرة ، كانت أجساد الأطفال قد تصلبت في أوضاع تشبه ملائكة الباروك أو الى تلك الأصنام المعلقة التي تزين الكنائس

ـ أشار أدهم الى بطن أحدهم المفتوح : **" أنظري البنكرياس هنا أكبر لأنه عاش برعبٍ أكبر "** . لكن نورا لم تعد تسمع بل كانت تركز على ظل متحرك بين الأشجار .. امرأة بثوب أبيض ...مهلا لحظة إنها ...قفز أدهم فجأة على الظل لكنه لم يجد سوى دمية محشوة على شكل بنكرياس بشري معلقة منها ورقة ***:" ابنتي العزيزة البحث عني سيؤدي بك الى الجحيم "***

صوت صفارات الشرطة اقترب وصوت أحدهم يقول : " **اقبضوا عليها إنها هنا** " لكن نورا لم تهرب بل ظلت في مكانها.

وفي لحظة غير متوقعة ظهر أدهم من بين الأشجار : " **هناك نفق أسرعي ...** " قالها بينما يزيح الأغصان عن الطريق لتجري مسرعة الى حيث أخبرها ثم قالت بنبرة حزينة :

ـ " **ظننتك تخليت عني** "

ـ " **هل تمزحين أنا ظلك وهذه ليست النهاية بل بداية صيد أكبر** " همس أدهم وهو يدفعها للنفق المظلم ، دخلت نورا وأشعلت عود ثقاب لكنها استغربت عندما شاهدت ممرا من العظام يقود الى مكان مجهول وعند نهايته سمعت صوت امرأة تغني .

كان النفق ينتهي بباب حديدي صدئ عليه رسومات غريبة والتي لفتت انتباههما رسمة لطفل صغير يبتلع سكينا بالدم ، قبضت نورا على مقبض الباب لكن أدهم أوقفها :

ـ " **انتظري هل تسمعين ذلك ؟** " سرت قشعريرة في جسدها جعل شعر يديها يقف ،تركت مقبض الباب ووضعت رأسها

عليه لتسمع بوضوح صوت أطفال يغنون : **" .. بسمة أمي ذبحتني .. بسمة أبي دفنني .. "**

فتحت الباب ببطء فإذا بها في قبو ضخم جدرانه مغطاة بأكياس بلاستيكية شفافة بداخلها بنكرياس محفوظ في سوائل ملونة تحت كل كيس صورة طفل مبتسم وتاريخ .

ـ همست نورا : **" هذا ليس مخزنا .. إنه معرض فني !! "**

تابعت تجولها الى أن وقعت عيناها على منظر يحبس الأنفاس شهقت بقوة عندما رأت كيس بلاستيكي لا يحتوي على بنكرياس بل على سائل أسود اللون وفي أسفله صورتها مع اسم **"نورا حسن "** دون عنوان ...

ـ **" أخيرا وصلتِ يا نورا "** التفتت نورا بسرعة الى مصدر الصوت لتجد امرأة عجوز في منتصف القبو تجلس على كرسي هزاز وعيناها مخيطتان بخيوط سوداء لم ينتبها لها عند دخولهما

ـ " من أنتِ ؟ ".

ـ "أنا من كانت تخيط أكفان الضحايا قبل أن تأكلي أحشاءهم"

رفعت العجوز يدها المشلولة وأشارت إلى زاوية مظلمة حيث هناك تلفاز قديم يعرض صورا لنورا وهي طفلة :

- صورة (1) :طفلة تضحك مع امرأة (ليست الأم التي عرفتها)
- صورة(2) : نفس الطفلة تُباع في سوق سوداء لهالة

ـ " أمك الحقيقية باعتك مقابل بنكرياس ملوث ... والآن جاء دورك لترثي المتجر " .

ـ **" كاذبة "** صرخت بها نورا بينما اندفعت بسرعة نحو تلك العجوز لتقتلها لكن في تلك اللحظة أوقفها انطلاق دوي جرس فوق رأسيهما عندها ابتسمت العجوز وقالت :

ـ **" حان وقت العشاء !"** .فجأة انفتح باب خفي في الأرض كشف عن طاولة طعام فاخرة عليها خمسة أطباق مغطاة بأغطية فضية

ـ " اخترا طبقًا لكن احذرا واحدٌ فقط يحتوي على الحلوى "

أسرع أدهم لرفع الغطاء الأول بتلهف ليتفاجئ بيد طفل مقلية بالثوم أما نورا فرفعت الغطاء الثاني لتجد بنكرياسا طازجا مع شوكولاتة ، لكن عند الثالث ... وجدت خاتم زفاف عليه اسم نورا وتاريخ ميلادها :

ـ " هذا ليس طعاما إنه ....."

قاطعتها العجوز وهي تضحك **:" إنه خاتم أمك.. التي تأكل الآن في الزنزانة المجاورة ."**

ـ " أغلقي فمكِ أيتها العجوز الخرف فيبدو أنكِ تريدين أن أقطع لسانك وأطعمه لكِ بنفسي "

ـ تحولت ملامحها الضاحكة الى الجدية ثم قالت **:"سواء صدقتي أو لا فهذا شأنك لكن العجوز الخرف تريد أن تسدي إليكِ آخر خدمة "** ثم أشارت بيدها الى أقصى القبو فيجري أدهم ليزيح الغطاء عن مرآة سوداء مغطاة بطبقة لزجة ، اقتربت منها نورا ببطء ثم لامستها بيدها فيظهر لها انعكاس

أمها الحقيقية ... سيدة شقراء مقيدة بالسلاسل تأكل من وعاء به أحشاء بشرية .

ـــ **" لا تنظري طويلا ! "** صرخ بها أدهم ثم راح يحطمها برجله لكن الأوان كان قد فات ... المرآة بدأت تنزف ، ومن الدماء خرج صوت : ***" ابنتي !... كُليني لأتحرر "***

أمسك أدهم يد نورا وجرها بسرعة نحو مصعد صدئ في الزاوية

ـــ **" هذا المصعد لا يصعد إنه ينزل فقط !"** صرخت بغضب

ـــ **" بالضبط إلى حيث توجد هالة الحقيقية "**

عندما أُغلق الباب المعدني رأت نورا العجوز تمضغ خاتم الزفاف بينما تختفي في الظلام ... وبدأ المصعد يهوي إلى الأسفل...وأسفل... بعدها في نفس اللحظة ما كُتب على جداره بالدم : ***" الجحيم ليس مكانًا ... بل ذوق "***

الفصل الثالث : الأم التي لم تكن

اصطدم المصعد الصدئ بالقاع بضجة كالرعد فقاما بضرب الباب بقوة حتى فُتح على غرفة مستديرة تشبه قفصًا ضخما تُضاء بمصابيح حمراء متقطعة على الجوانب ،وفي المنتصف عُلّق ضوء أزرق في أسفله تجلس هالة على عرش من العظام ترتدي ثوبا أبيض متسخ ببقع بنية إلى جانبها امرأة شقراء مقيدة بالسلاسل تميزها عيناها الناعستان التي تشبهان عيني نورا تماما

خطت الفتاة خطوة للأمام : **" أمّي ... ؟ "**

ـ **" لا ... هذه مجرد دمية أخرى "** قالتها هالة بينما ضحكاتها تصدر صدى مزعج في القاعة "

ـ **" كم مرة عليّ أن أقتلكِ حتى تموتي بالفعل أيتها الساحرة ؟"** قالت نورا جملتها الأخيرة بينما تكز على أسنانها بقوة بينما عروق جبهتها برزت من شدة الغضب

عندها أشارت هالة إلى زاوية مظلمة حيث وُضعت ساعة رملية مملوءة بالدم فوق طاولة صُنعت بعظام القفص الصدري لبشري :

ـ **" لديكِ حتى ينتهي الرمل لتحرريها ....لكن !! "** أخرجت سكينا من طيات ثوبها **" إن لم تقتليها أولا ... سأقتلكما معا "**

تقدمت نورا ببطء بينما أدهم بقي عند الباب يراقب بفضول

رفعت الأم رأسها وصرخت : ***" انظري خلفكِ يا نورا ...انه ليس طفل".***

التفتت بسرعة لترى شكل أدهم يسود لونه و يذوب في الأرض ليتشكل من جديد على هيئة رجل طويل بلا ملامح

ـ همست نورا بصوت خافت : **" كل هذا الوقت ... لماذا " .**

تقدم "الرجل بلا ملامح" نحوها بينما يبرر : **" لو ظهرت لكِ بشكلي الطبيعي لم تكوني لتثقي بي ، كل ما فعلته هو استدراجك الى وكر تلك الشيطانة لتنتقمي لنا جميعا "**.

وفجأة ومن دون سابق انذار غرزت سكينها في جسده ليتلاشى في الهواء ويختفي

ـــ **" أنا لا أحتاج لخونة مثلك يا أدهم "** قالتها بينما نزلت دمعة ساخنة على وجنتيها ليس حزنا عليه بل غضبا من نفسها الغبية التي وثقت به ."

قطع حبل أفكارها صوت هالة وهي تصفق : **" هل انتهيت من ذلك المشهد الدرامي المقزز أم سنكمل هذه الليلة بكاءً "**

ـــ **" أقسم يا هالة بأني سأمزقك اربا اربا ولن تجدي احدا يبكي عليكِ "** قالتها نورا بينما تحوّل لون عينيها الى الأحمر "

ـ **" ربما لكن على الأقل ستجد أمك من سيبكي عليها "**

"فجأة انغرز سكين هالة في ظهر الأم وتدفق الدم كالنافورة

ـــ **" لا !!!!!! "** صرخت نورا بألم ثم انقضّت على تلك الساحرة وقامت بفتح جسدها ككتاب قديم في حالة هستيرية الى أن سقط بنكرياسها على الأرض مليئا بالديدان .ثم وقعت نورا على الأرض تلهث من التعب والغضب .

تمعنت في جثة أمها التي لم ولن تلتقيها أبدا ثم جلست بصعوبة ومشت حبوا مثل الأطفال الى أن وصلت الى حضن أمها الذي لا يزال دافئا ثم وضعت رأسها على صدرها وأخذت تلعق دماءها كالقطة الهاربة ....

ـــ " أعدكِ يا أمي أن كل شيء سينتهي ... عندما آكل العالم "

صعدت نورا المصعد وحيدة فأدهم الجني بلا ملامح اختفى وهالة عدوتها انتهت منها أخيرا ،أما أمها فقد ماتت مرتين وعادت وحيدة من جديد ، تعثرت بشيء ما فرفعت قدمها الحافية عن هذا الشيء لتجد خاتم الزفاف الملطخ بالدماء ..مهلا لحظة ألم تأكله تلك العجوز ؟ لا يهم فهي ليست في مزاج يسمح لها في التفكير بهذه التفاصيل ... وصلت الى السطح لتشهد منظرا كان لمدينةٍ تحترق بألوان زاهية ...

تجولت نورا في شوارع المدينة الخالية بخُطى تُحدث صدى كدقات ساعة ميتة ، المباني العالية انحنت كشهودٍ زور تتطلع إليها بنوافذها المحطمة بعيون زجاجية بينما كان الخاتم الذي في اصبعها يضيء تحت القمر وكأنه يحاول أن يقول شيئا

ـ " **لماذا لا أتذكر وجهكِ ؟** " انفلتت هذه العبارة من شفتيها بينما تفكر في أمها التي ماتت مؤخرا ، فجأة سمعت صوت طفلة تضحك استغربت نورا قليلا لكنها لم تبالي وواصلت المشي بقدميها التي أدماها التعب ...

وصلت الى مدرسة مهجورة وقررت المبيت فيها قامت بتمزيق بعض الستائر واستعملتها كغطاء لتحميها من البرد لكن الشتاء كان له رأي آخر .

مع بزوغ أول خيوط لأشعة الشمس ، استيقظت بفعل سكاكين الجوع التي تغرز في بطنها فهي لم تأكل منذ فترة ،تجولت قليلا في أروقة المدرسة لعلها تجد شيئا يؤكل لكن بعد ساعات من البحث المضني استسلمت وقررت البحث عن أول ضحية لكن عليها أن تشحذ سكينها أولا فوضعت يدها في جيبها وللحظة

أخرجت الحقنة المنومة التي أعطاها إياها أدهم خالجها شعور بالفقد لكن سرعان ما تبدد ذلك الشعور حين سمعت صوتا مألوفا يأتي من مكان ما :

ـــ **" الم تشتاقي الى وحشك الصغير "** ليتشكل لها في لمح البصر أدهم وكأنه لم يتغير أبدا ، نظرت الى عينيه الزجاجيتين في عتاب بعدها قامت بصفعه بقوة ثم جثت على ركبتيها وقامت بعناقه بحرارة بينما أجهشت بالبكاء:

ـــ **" أنتَ تعلم أني لن أشتاق إليك أبدًا !"** قالت جملتها وهي تبتسم بينما عبس وجهه بدلال طفولي ثم شاركها الابتسام

ـــ **" نحن لم نستمتع بوقتنا منذ ان التقينا لذا لديّ مفاجأة".**

قام أدهم بجرها الى الملعب الخلفي للمدرسة ثم قام بالجري واللهو أمامها بصبيانية ثم فاجأها بكرة ثلجية ارتطمت برأسها ثم سقطت على ملابسها وبللتها

ـــ **" أيها الأحمق سأريك "** صنعت كرة ثلجية ضخمة ثم رمتها باتجاه أدهم الصغير الذي ارتعب وتبخر في مكانه وماهي الا

لحظات حتى تشعر نورا ببرد قارس في ظهرها اثر ظهوره المفاجئ وراءها ووضعه الثلج داخل قميصها

ـ " هذا غش أيها الشيطان الصغير سأقتلك وأشرب عصارة بنكرياسك "

وفجأة سمعوا صوت تأرجح الأرجوحة الصدئة في زاوية الملعب ،اقتربوا منها فوجدوا دمية محشوة ترتدي خاتما مطابقًا لخاتمها في حضنها بنكرياس صغير ملفوف بورق هدايا مكتوب عليها :

" لعبة أخيرة... ابحثي عني في المكان الذي دفنتِ فيه دموعكِ"

أكلت نورا البنكرياس دون تردد ...طعمه كالذكريات المدفونة .

قادتها خطاها إلى زقاق ضيق حيث كانت تختبئ أيام الطفولة هناك وجدت بقايا مرآة مكسورة تماما كقلبها المخذول رفعت قطعة مغطاة بغبار السنوات مسحتها بكم قميصها المهترئ لكنها لم ترى انعكاسها ... بل رأت طفلة صغيرة تشبهها ...لا بل انها هي وهناك أيضا يد غير مرئية تربت على رأسها وبجانبها صندوق أسود يُدفن تحت الأرض .

" احفري ... ستجدين الجواب " نسمة هواء عابرة حملت معها صوت والدتها المتوفاة .وبدون تفكير بدأت تحفر بأظافرها حتى سال الدم من أطراف أصابعها .

ـــ **" هل تحتاجين الى مساعدة ؟ "** التفتت لتجد أدهم متشكل على شكل غراب أسود لكنها عرفته من نبرة صوته وعينيه الزجاجيتين التي لا تتغيران ، لم تقوى نورا على الكلام لكنها اطلقت ابتسامة تكفي بأن يفهمها .

ـــ **" تنحيّ جانبا واتركي الأمر لي "** قالها بينما يتحول الى قط أسود وبدأ بالحفر بقائمتيه الأماميتين .

ـ " **أنت لا تتوقف عن إبهاري أبدا** " ضحكت قليلا ثم تحولت ملامحها الى الجدية ثم تابعت " **قل لي ... كيف وجدتني ؟؟** "

ابتسم بخبث ثم برر : " **أنا لم أتركِ حتى أجدكِ كنت معكِ طوال الوقت** " توقفَ فجأة عن الضحك عندما تعثر بشيءٍ غريب .....

لكن ما وجداه لم يكن موضوعًا في الحسبان فقد كانت مجموعة دفاتر مدرسية قديمة .

في الصفحة الأولى : " **مذكرات نورا حسن ... الصف الثالث ابتدائي** "

لكن المفاجأة كانت الدفاتر مكتوبة بخط يد مختلف عن خطها ،قلبت نورا الصفحات بسرعة وفي الصفحة الأخيرة طُبع رسم لامرأة تقتل طفلة .. والتوقيع " **هالة** ". أحست في تلك اللحظة بأن الخاتم في إصبعها أصبح ساخنًا .

جلست تحت عمود إنارة مكسور تقلب الصور في ذهنها ،هل كانت **"نورا"** مجرد اسم أعطته لها هالة ؟ هل الأم المقتولة كانت أمها الحقيقية ؟ لماذا لا يوجد أي ذِكرٍ لوالدها في كل هذه الذكريات ؟

فجأة ... انكسر الخاتم الى نصفين ليخرج بعدها من الشّق صرصار أسود حمله الريح بعيدا .

ـ **" الحقيقة قذرة ولن تموت أبدًا "** قالتها نورا بينما ابتسمت للمرة الأولى منذ سنوات .نظر اليها أدهم ثم أكمل جملتها :

" كل الألغاز جميلة ...لكن حلّها دائمًا مؤلم "

الفصل الرابع : العظام التي تحمل اسمي

جلست نورا على ركبتيها في أرضية غرفة مهجورة وقد تسلل ضوء القمر من تشققات النافذة المكسورة ليرسم زخرفة عشوائية على الطاولة التي وُضع عليها الدفتر المدرسي القديم ، أمعنت النظر من بعيد قبل أن تتخذ قرارها باكتشاف ماضيها حملت الدفتر بأيدي مرتعشة وقامت بتقليب الصفحات ببطء لكي لا تفوت أي حرفٍ قد يفيدها :

" نورا حسن ... الصف الثالث... " توقفت عن القراءة عندما سقط الخاتم المكسور من إصبعها على الأرض مصدرًا طنين معدني خافت وهذا حين شاهدت صورة الفصل.

وبصوت مكتوم قالت:**"...مستحـيل...هذه ليست أنا ، عيونها خضراء "** قرّبت الصورة إلى عينيها أكثر كما وكأنها تتذوق طعم الوجوه بعينيها.

في دار المحفوظات تجولت نورا بملابس غريبة لها بعض الشيء فهي لم ترتدي فستانا ضيقا من قبل لكن لا بأس به طالما انها ستلبسه لبضع ساعات فقط فهي تشمئز من ملابس ضحاياها ...لا يهم ...رفوف مغبرة تمتد إلى ما لا نهاية تصفحت سجلات مواليد عشرين عاما مضت لكنها لم تجد شيء .

لفت انتباهها عجوز أعمى يجلس في الزاوية ربما هو موظف الأرشيف :

ـــ " تبحثين عن شبح ؟ "

ـــ نورا ببرود **:" أبحث عن نورا حسن ؟".**

ضحك الموظف العجوز بصوت مبحوح **:" الاسم الأول كذبة ... والثاني سرقة "** ثم دفع نحوها صفحة ممزقة

ـــ " لمن هذا العنوان ؟ " قالتها نورا بعصبية .

ـــ " أنتِ تبحثين عن الطفلة المسروقة من مستشفى القدّيس يوسف "

صدى وقع أقدام نورا في أروقة المستشفى المهجور يعزف لحنا كئيبا يشبه الى حدٍ ما أفلام الرعب الأوروبية القديمة . في مستشفى القديس يوسف الذي هُجر منذ سنوات .

في الغرفة رقم سبعة مسحت نورا بقعة دم على شكل يد صغيرة على السرير الحديدي الصدئ ثم تنزل على ركبتيها وتفتح درجه لتجد شهادة وفاة تظهر : **"(مولودة مجهولة ــ 13/12/2000)" .** وفجأة ! سمعت صوت ارتطام في الخلف التفتت لتُصدم بوجود الدمية نفسها التي وجدتها في الملعب .

ــ **" من وضعك هنا ؟"** قالتها بينما تهز الدمية بعنف حتى سقطت منها ورقة مكتوب عليها : **(" نورا ....أنتِ الاستثناء الذي نجا ")** سقطت من يدها الدمية وكأنها تذكرت شيئا ما

ركضت بأقصى ما يمكنها بقدميها الداميتين في الشارع المهجور الى أن خارت قواها وسقطت أرضا

ــ **" اصعدي على ظهري فليس لديكِ وقت النوم "** فتحت عيناها بثقل شديد لتجد أدهم على هيئة حصان أسود ، تحاملت على نفسها وصعدت بصعوبة ثم انطلقا بسرعة البرق .

اتجها نحو القبو حيث ماتت المرأة الشقراء وقامت بالحفر أسفل جثتها التي بدأت تتعفن وأخرجت حقيبة جلدية قديمة في داخلها جواز سفر مزور باسم"نورا حسن" بصورة طفلة غريبة ، ورسالة بتوقيع هالة كُتب عليها (" **الطفلة الحقيقية ماتت ... فصنعتُ منكِ نسخةً أفضل ")** و عقد ذهبي منقوش عليه **"ياسمينة "** ،رفعته بيد مرتعشة لتمعن النظر فيه فإذا بالضوء ينعكس على الحائط بكلمة " **هابر كلوس** " .

ـــ قالت نورا بتهكم : **" هابر كلوس !! ...ماذا تعني ؟ "**

ـ أدهم وهو يعود الى هيئة طفل **:" تقع مقبرة هابر كلوس على بعد يومين من هنا ، يمكنني نقلكِ الى هناك في طرفة عين إن أردتِ "**

ـ **" لا أريد ..شكرا "** قالتها نورا بوجه مرهق ومكتئب

ـ أدهم بنبرة ممازحة **:" لا تريدين الذهاب الى المقبرة أم لا تريدين السفر ؟"**

ـــ نورا باسمة: **" لنذهب لكن بالطريقة التقليدية هناك شيء ما أريد القيام به أولا . "**

ـــ أدهم وهو يزفر بضجر :" **حسنا .**"

في اليوم التالي اتجهت نورا وأدهم الى سوق المدينة لشراء بعض المستلزمات اللازمة للسفر بعض أن قضيا الليلة الماضية في اصطياد فريسة ،كانت لرجل يتجول في الغابة ليجمع الحطب للتخييم بمفرده في منطقة يسمونها " **الرفوع** " .أكلا بنكرياسه ونهبا أمواله ثم رموا الجثة على قاعة الطريق .

تخلصت نورا من ملابسها بعدما اشترت معطفًا أسودا طويلا الى حد الركبة مع بنطال واسع بنفس اللون بأسلوب فخم وجزمة بنية طويلة اشترت أيضا سيفا.بينما اشترى أدهم فرسين له ولنورا وبعض الزاد يكفيهم ليومين .

انطلقا في طريقهما عند غروب الشمس وقد كانت الأجواء مثلجة تماما كقلب نورا الذي انفطر من كثرة الصدمات لكنها آثرت على نفسها ولم ترد أن تبدي حزنها لأدهم لذا نطقت أخيرا ممازحة بعد أن طال سكوتها :

ـــ " لماذا تتشكل بهيئة طفل بينما يمكنك التشكل بأي شكل تريد ؟"

أجابها بينما يمسح على رأس الفرس الذي تعب من المشي دون أن يرفع رأسه لكي لا تنتبه نوارا الى الدموع التي تراكمت في عينيه:

ـ " أنا لست جنيّا لأتشكل كما أريد بل أنا مجرد طفل قتلتني هالة لأصبح روحا طليقة تتجول أحيانا و تسكن بعض الأجسام الى أن ينتقم لها أحد ما ثم تعود الى قبرها لتنام بسلام هذا ان كان لها قبر من الأساس "

فهمت نورا مقصده لكنها تابعت وكأنها لم تفهم **:" لكن ألم أقتل هالة بيدي؟لماذا لم تعد الى قبرك حتى الآن"**

رفع رأسه وابتسم بثقل :" **ألم أقل لك سابقا أني سأكون ظلكِ ،لا تقلقي فإزعاجي لك لن يبقى الى ..."** توقف لكن نورا تابعت بإصرار مصححةً قوله **"بل سيبقى الى الأبد ".**

بعد ساعات غربت الشمس وكانا قد وصلا الى منطقة نائية وسط الصحراء لذا قررا أن يبيتا هناك .

ـ "هاي أنت تعال وساعدني في نصب الخيمة ألا ترى أني في مشكلة !" صرخت نورا ورمت ما بيدها

ـ ضحك أدهم وقال **"حسنا دعي ما بيدك سأتولى أمرها اذهبي واجمعي الحطب لاشعال النار "**

تركت ما بيدها وذهبت للبحث عن الحطب لكنها تفاجئت في طريق عودتها بصوت طفل رضيع يبكي في الجوار ، اقتربت نحوه ببطء لكنه ذهلت بوجود طفلة وحدها في مكان كهذا

ـ "**مالذي جاء بكِ الى هنا ؟"** همست بها نورا لكنها حملتها الى موقع تخييمها .

نظر اليها أدهم بلهفة ثم قال :"يبدو **أنكِ جلبتِ لنا العشاء "**

ـ **"لا ... "** . صرخت نورا لكنها تداركت نفسها وقالت:**" لا أستطيع قتلها... أشعر بشيء غريب تجاهها ربما لأنها تبدو مألوفة .".**

أطعمت الرضيعة ثم غفت المسكينة في حضنها لذا وضعتها في الخيمة ثم جلست حول النار مع أدهم يتبادلان أطراف الحديث:

ـ سأل أدهم **:"لأول مرة أراكِ متوترة هكذا ، هل أنتِ بخير"**

ـ " لا أعلم وكأن الرضيعة سحرتني ، لأول مرة أحس بالشفقة تجاه أحدٍ ما "

وفجأة ، انطفأت النار وسمعا صوت عويلٍ آتي من الخيمة اتخذا وضعية الاستعداد بينما وجهت نورا سيفها نحوها وتقدمت ببطء شديد الى أن سمعت الرضيعة تتكلم بصوت امرأة كبيرة... كان الصوت لوالدتها المقتولة وهي تقول :

"أنتِ لا تعرفين نفسك...يا نورا..."

قفز أدهم في تلك اللحظة الى الخيمة لكنه لم يجد أحد

ـ " استعد سنكمل رحلتنا الآن !!!! " قالتها نورا بينما تفك لجام خيلها .

وصلا أخيرا إلى مقبرة "هابر كلوس" بعد مسيرة يومين ،كانت مقبرة مهجورة بجوارها بيوت قديمة لا حياة فيها لم تتجول كثيرا لأنها ولأول مرة في حياتها ترى مقبرة بها ثلاثة عشر قبرا فقط ،جالت بنظرها إلى أن لمحت قبران صغيران متجاوران وكأنهما لتوأمان ...كُتب على القبر الأول : **"ياسمينة عبد الغني ،ابنة هالة ،تاريخ الولادة والوفاة:2000 ــ2000 "**

وعلى القبر الثاني كُتب:"**نورا حسن،الابنة التي لم تكن ،تاريخ الولادة والوفاة : ؟ ــ2000 "**

جثت نورا على ركبتيها ،ترفع السكين نحو معصمها ...ثم تتوقف عندما داهمها صوت امرأة من بعيد:

ــ" كل الأسماء كذبة ... حتى اسم الموت "

لم تلتفت نورا لمصدر الصوت بل أكملت ما كانت تفعله تنقش على ظهر يدها بالدم :

" أنا القبر الذي سيدفن كل الأسماء "

الفصل الخامس : ظلال الهوية الضائعة

صباح يوم غائم في شقة نورا المؤقتة التي استأجرتها لتقضي فيها بضعة أيام جلست على حافة السرير تدرس العقد الذهبي بين أصابعها مع ضوء الصباح الباهت الذي يتسلل من النافذة النصف مفتوحة ويلعب على نقش "ياسمينة" أسفل السكين المنغرس على الطاولة التي أمامها بجانب الأوراق والمستندات المنتشرة مشكّلة خريطة لحياة ليست حياتها ، تحمل أحد الأوراق...تطويها ثم تضعها في جيب معطفها وتخرج من الشقة بخطى متوازنة وكأنها مدروسة بإحكام .

في مقهى إنترنت صغير تجلس نورا أمام حاسوب كلاسيكي قديم تكتب في شريط البحث : اختطاف مواليد مستشفى القديس يوسف ـ 2000 تنظر بتأمل الى تلك الشاشة الزرقاء التي تعكس ملامح وجهها الشاحب بينما تنتظر النتائج .

- **جريدة محلية قديمة :"*سرقة مولود من مستشفى القدّيس يوسف .....*"** باقي ما كُتب في الصفحة كان ممزقا ن عمد.
- **تعليق في منتدى قديم :"*هالة عبد الغني كانت ممرضة في قسم الولادة***
- **موقع الأخبار القديم :" *جريمة قتل لأكثر من سبعون مولود في نفس اليوم إلا طفلين لا أثر لهم .***

قامت بطبع بعض الصفحات ووضعتها في ملف بلاستيكي ، حاولت قدر الإمكان أن تخفي ارتجاف يديها وهي تدفع ثمن الطباعة .

وقفت في محطة الحافلات تنتظر بينما تحاول ربط الأحداث لعلها تجد طرف الخيط لمعرفة نفسها .تسأل نفسها باستمرار: **"من أنا... من هي ياسمينة ..."** قطع حبل أفكارها صوت الحافلة القادمة معلنا انتهاء وقت الراحة .

، جلست في المقعد الخلفي تتصفح الأوراق التي طبعتها سابقا بتوتر ظاهر لاحظه الرجل العجوز الذي جلس بجانبها .

ـ الرجل العجوز **" تبحثين عن شيء مهم؟**

ـ أجابته بينما تخبئ الأوراق بسرعة: **"مجرد .. تاريخ عائلة"**

ـ هز العجوز رأسه وأردف قائلا وهو يبتسم:**" الماضي مثل ظل الشمس ، كلما طاردتِه ابتعد عنك "**

دلفت الى شقتها منهكة من يومها الطويل لتجد أدهم قد سبقها وقد قام بتحضير العشاء

ـ **" ممم... أشتم رائحة طعامي المفضل ! "** قالتها نورا بينما تمسح لعابها السائل بظهر يدها .

ـ **" تأخرتِ في العودة فأردت أن أعد لكِ بنكرياسا طازجا على طريقة أمي "**

ـ **" مهلا لحظة هل كانت أمك تطهو لك البنكرياس؟! "**

ـ حك أدهم رأسه مشاكسا **:" أنا أمزح لو علمت أمي المتوفاة أني آكله كانت ستحرمني من الحلوى لشهر كامل . "**

ـ **" بالمناسبة هل يمكنك أن تسدي اليّ خدمة ؟ "**قالتها نورا

ـ **" ماذا تريدين ؟"**

ـ **" أريدك أن تذهب الى مكتبة المدينة وتتصفح سجلات الصحف القديمة وتحضر لي أخبارا هامة اذا وجدت "**

ـ **"أنا لستُ خادمكِ ! "**

ـ " أرجـــــوك !!! أنت تعلم أني لا أحبذ فكرة الاحتكاك بالمجتمع وأيضا أنت تعلم هوسي بأكل البنكرياس وأني أمسكت نفسي بصعوبة عن الفتك بكل من ظهر أمامي اليوم و... "

ـ قاطعها أدهم : **"حسنا... حسنا فهمت سأذهب صباح الغد "**

في اليوم التالي قصد أدهم مكتبة المدينة وتفحص سجلات الصحف القديمة على الميكروفيلم ،احترقت عيناه من شدة التركيز وفجأة... ظهرت صورة لممرضات مستشفى القدّيس يوسف 1999 ووجه هالة كان بينهم.

منزل متهالك في منطقة نائية على أطراف المدينة يُطرق بابه لتفتحه امرأة عجوز عيناها ضيقتان من الضوء الذي تسلل الى عينيها .قالت بينما ترمي سيجارتها على الأرض وتدوس عليها :

ــ " أخيرًا !! ...نورا كنت أعلم أنكِ ستأتين "

ــ نورا وقد توسعت حدقتاها من الدهشة : **" تعرفين من أكون؟"**

ــ ضحكت العجوز بصوت مبحوح وأشارت لنورا بالدخول الى المنزل **:" أنتِ الفتاة التي صنعتها هالة" .**

في الداخل كانت رائحة الأدوية الممزوجة بالدخان تملئ المكان ،وعلى الجدار عُلّقت صور لعدة أشخاص من بينها صورة هالة مع مولودة جديدة .

قطعت نورا الصمت بسؤالها **:" من هي ياسمينة ؟ "**

ــ أشعلت العجوز سيجارة وأجابت **: " ابنة هالة الحقيقية...التي ماتت في اليوم الثاني ".**

ــ "و أنا ؟ "

ــ "البديل ... الطفلة المسروقة لتعويض خسارتها " قالت بينما تنفث سحابة دخان من أنفها .وفجأة ... سقطت نورا على الكرسي الذي وراءها بينما العقد الذي في يدها أصبح كالجمرة من الحرارة .

عادت الى شقتها ليلًا وقامت بنشر كل الأدلة على الأرض :

1. **شهادة ميلاد مزورة**
2. **صورة الفصل الدراسي**
3. **مقالة سرقة المولود**
4. **العقد الذهبي**
5. **صورة هالة التي أحضرها أدهم**

كتبت على ورقة بيضاء:**" أنا لست نورا حسن ،أنا لست ياسمينة ، أنا ...؟ "** وفي تلك الأثناء كان السكين يلمع تحت ضوء المصباح نفسه الذي رفعته نحو خصلتها السوداء التي قصتها ببطء ثم سقطت متناثرة على الصور المبعثرة أمامها.

ضربت الطاولة التي أمامها بقبضة يدها ثم وقفت بصعوبة ،أحست في تلك اللحظة بأن الأرض تهوي أمامها ثم وقعت على الأرض مغميًا عليها .

فتحت عينيها بثقل وكأن جفونها ترفض أن تنفتح لكنها مع مقاومة من نورا انفتحت أخيرا وكان أول رأته بداية طلوع النهار لذا قامت من مكانها وتوجهت الى الخارج ...

وقفت عند ضفة النهر ووجهها نحو الماء المتدفق تنظر الى وجهها الشاحب ثم الى خاتم الزفاف المكسور في يدها اليمنى ثم الى العقد الذهبي في يدها اليسرى تنصت الى صوتها الداخلي الذي يقول :" **كل الأسماء كذبة ... لكن الدم حقيقي** " . تفتـح كفيها ليسقط العقد والخاتم في الماء ثم تُخرج الأوراق من جيبها تمزقها ثم ترميها هـي الأخرى لتعود إلى نقـطة الصفـــر ، تمسح دمعة هاربة مرت على وجنتيها وتلتفت لتمشي بعيدا بينما تبتلعها ضبابات الفجر .

دخلت الى شقتها المشبعة بغبار الذكريات لتجد أدهم متكئًا على الحائط ويسند قدمه عليه

ـ " **أين كنتِ كل هذا الوقت ؟** "

ـ " **أولد من جديد ؟** " قالتها نورا بابتسامة مصطنعة تخفي بها آلامها .

تفرس أدهم بجدية في تعابير وجهها التي عكست شيئا مريبا وهو يسألها :" **و ما الذي ستفعلينه الآن ؟**"

أجابته بحماس يخيفه : **" أول وجبة بعد الاستيقاظ ، هل أنت معي ؟ "**

ــ ابتسم وهو يخرج من جيبه سكينه المماثل لسكين نورا: **"هل أنتِ جادة ؟ أنا معكِ دائما يا سيدة الظلام ! "** .

الفصل السادس : الولادة الجديدة

صباح يوم ممطر في شوارع المدينة التي غسل المطر الغزير أرصفتها واختلط الماء بالدماء القديمة في مصارف الشوارع هناك كانت تسير بلا وجه وشعرها القصير يُبلل تحت قطرات المطر ويداها داخل جيوب معطفها الأسود الممزق عند الإبط وكتفاها المنحنيان للأمام من النحافة في حين لا ترفع عيناها عن الأرض ليس خجلا بل تراقب إصبعها الكبير المتسخ الذي يطل من ثقب حذاؤها الرياضي .تمر أمام محل حلاقة وتلتقط انعكاسها في الزجاج وتخاطب نفسها : **" من أنتِ ؟ ... وما هذه الحالة التي أنتِ عليها ؟ ".** تضغط على جيب معطفها حيث تخفي السكين،تفكر قليلا ثم تستدير الى الظلام و تغوص في الزقاق الضيق .

تدخل الى مطعم صغير بالقرب من محطة القطارات ،تجلس في الزاوية الأبعد وتتفرس في وجوه الحاضرين بحثا عن أول ضحية... وفجأة :

ـــ" **إليك شربة بخار ...بخمسة وعشرين** "داهمها صوت النادل المتعب على حين غرة .

ـــ أخرجت نورا عملات معدنية إضافية من جيبها وتشير إلى دفتر قديم معروض خلف الزجاج : **"خذ عشرة أخرى وأحضر لي دفتر الملاحظات هذا "**

بينما تأكل الشوربة الباردة ،تفتح الدفتر الجديد وتكتب في الصفحة الأولى : **قائمتي الجديدة**

1. **النادل العجوز :طعمه سيكون مرًا مثل تعاطفه الزائف.**

ترفع عينيها لتدرس وجه النادل الذي لا يعلم أنه أصبح أول اسم في قائمتها الجديدة ...

تخرج من المطعم ثم تقصد سوقًا شعبيا للمعدات القديمة وتدخل الى محل منزوي، تقلب السكاكين الصدئة على الطاولة

الخشبية بينما يتابعها البائع العجوز في شك :**"هذه للحيوانات الصغيرة فقط... أو تبحثين عن شيء خاص ؟ " .**

التقطت سكين تقطيع لحم بطول عشرين سم تتفحصه بينما تسأل :**" كم عمر هذه ؟ "**

ـ " انها في مثل عمركِ ،حوالي أربعين سنة .

ـ ذهلت من اجابته الصادمة :**" أربعين سنة ؟! هل يبدو أني كبرت لعشرين سنة "**

ـ قال معترفا :**"آسف سيدتي لم أقصد "**

ـ وضعت كفها على وجهها تتفحصه بينما أردفت : **" لا عليك ...قل لي هل هذه السكين تصلح للحيوانات الكبيرة ؟"**

ـ "إنها الأفضل في المحل يمكنها ذبح بقرة "

ـ نورا بينما تمسك المقبض الخشبي بقوة : **" أو لقطع الحقيقة "**

اشترت السكين وقامت بلفها في جريدة قديمة بعنوان أسود عريض مكتوب بخط بارز **:" مجزرة جديدة...الضحية فقدت بنكرياسها ".**

في المساء استأجرت نورا غرفة فندق رخيصة لتبيت فيها ،لم تستحم منذ وقت طويل لذا أخذت حماما طويلا ثم فرشت أدواتها على السرير :

- **السكين الجديد**
- **دفتر القوائم**
- **خيطان من شعرها القديم**
- **صورة لهالة ممزقة**

تغمس السكين في ماء مالح ثم تلفها بالخيط الأسود ثم تفتح دفترها وتكتب : **" قواعد جديد ... لا أسماء مستعارة ...لا بنكرياس غير ناضج... تذوق الدموع قبل اللحم "** كان الضوء الوحيد في الغرفة هو شمعة قصيرة تذوب ببطء تعكس ظلا يرسم على الحائط وحشا بأسنان طويلة لم يدم طويلا لأن الشمعة انطفأت معلنةً أن الوقت قد حان ...

تجلس على أرجوحة مهتزة ليلا تنتظر الوقت المناسب تراقب من بعيد عشاءها كقط يراقب فريسته وهاهو النادل العجوز يغلق مطعمه استعدادا لعودته الى المنزل اخيرا .

داهمها صوتها الداخلي :" **اذهبي ...الآن دمه سيكون دافئًا** "

تلتفت يمينا ويسارا ثم تخرج السكين المخبأ تحت معطفها وتتأهب للانقضاض... لكنها لا تتحرك تريد أن تفتك به لكن شيء ما يمنعها ولأول مرة منذ سنوات تشعر بفراغ غريب حيث كان الغضب يسكنها لكن الآن لاشيء يسكنها سوى الصمت ، تقول في قرارة نفسها : " **ربما ... ليس الليلة** " تدس السكين في معطفها و تترك الأرجوحة تتأرجح خلفها فارغة .

تعود أدراجها الى الفندق وفي طريقها سمعت صوت صراخ مكتوم جثت بسرعة على ركبتيها تطل برأسها من بين الشجيرات الكثيفة لترى رجل أربعيني ببدلة ممزقة يجر طفلة صغيرة نحو سيارة سوداء ،كانت تبكي بصمت وعيناها واسعتان كفئران محاصرة ، أحست نورا بالغضب مع أنها كانت تقتل الأطفال أيضا إلا أنها لم تكن تهين ضحاياها على الأقل ، ضغطت على مقبض السكين تحت معطفها ... ثم تتراخى فجأة .

مرت ريح عابرة حملت معها صوتا ناعما ببراءة : **"لماذا لم ينقذني أحد ؟ "** وفي تلك الأثناء اتخذت قرارها واندفعت من مخبئها كالظل ...

ربط الرجل الطفلة في المقعد الخلفي للسيارة في الموقف المهجور وأغلق الباب و عندما فتح الباب الأمامي ليركب اتسعت حدقتاه من الدهشة عندما رأى فتاة عشرينية تجلس مكانه تضحك بهستيرية وبتلقائية غريبة قالت :

ـ " المقعد الأمامي لي ...والصغيرة في الخلف أيضا ".

استدار الرجل مذعورا عندما داهمه صوت طفل صغير وراءه يقول : **" لا تراوغ يا صديقي وأعطها المفتاح "**

ـ " ابتعدا عن سيارتي قبل أن أقطعكما "

ضحك أدهم من جرأة الرجل ثم خاطب نورا **:" في رأيك هل سيكون بنكرياسه لذيذا ؟ "**

ـ" لا أظن ذلك فوغد مثله أشك في أن يكون له واحدا أصلا"

بعدها ربط أدهم الرجل ثم ... صوت سكين يشحذ ... ثم أنين رجل يُقطّع حيا...ثم صوت فتاة صغيرة ترتجف **"شكرا"**

مع طلوع الفجر أنهت نورا عملها وراحت تتمشى مع أدهم على أرصفة الشارع وقد حكت له عن امتناعها الغريب عن قتل النادل العجوز عندها صرّح لها :

ـ " أتعلمين ... يبدو أنكِ وجدتِ دوركِ في الحياة " .

ـ " ماذا تعني بدوري "

ـ " لكل انسان في هذه الحياة شيء يميزه عن غيره وبهذا يستطيع كل واحدٍ منا أن يساهم في جعل الأرض مكانا أفضل للعيش ، فمثلا الطبيب بمعدله العالي واجتهاده استطاع أن يدرس الطب وينقذ الناس من الموت .هل فهمتِ قصدي ؟ "

ـ بدت نورا مهتمة لكنها سألته ببلاهة بينما تحك رأسها :"**لكني لم أكمل دراستي كيف سأساهم في شيء ينفع؟ "**

ـ "لكنكِ ساهمتِ "

ـ "كيف ذلك ؟ "قالتها نورا بتلهف الى الجواب

ـ " أنتِ لم تقتلي النادل البريء وأنقذتِ طفلة صغيرة من ذلك الرجل ، أنتِ قمت بما لم تفعله العدالة ! "

بعد رحيل أدهم فكرت نورا جيدا بما قاله واتخذت قرارا ليست مستعدة للفصح عنه بعد .

جالت بنظرها نحو الحائط تحديدا نحو خريطة المدينة المثبتة بدبابيس ملونة ، تحت الدبابيس الحمراء علقت أوراقا مأخوذة من الجرائد تحمل أماكن لاختفاء الأطفال .تحت الدبابيس السوداء أماكن لتجمعات مشبوهة .

تكتب في دفترها الجديد :**<u>محتاجون إلى التطهير :</u>**

1. **محمد السيد (تاجر بشر)**
2. **عصمت باشا (قاضي رشاوى)**
3. **سميرة عدلي (مديرة دار أيتام مسيئة)**

تغمس إصبعها في كأس دم آخر ضحية لها ثم تطبع بصمتها تحت القائمة .

في سقيفة مهجورة في ضواحي المدينة المجاورة تقود نورا رجل أعمال يتاجر بالبشر سمين مقيد بحبل .

ـ " أنتِ مجنونة ! اتركيني وسأدفع لكِ أي مبلغ "

تربطه على كرسي صدئ ثم تجر نحوه طاولة قديمة تصدر عجلاتها صريرا مزعجا وُضع فوقها طبقا فضيا مغطى.

نورا بهدوء:**" اختر أن تأكل بنكرياسك بنفسك أو أُطعمه للكلاب الضالة,"** ثم ترفع الغطاء ... ليكشف عن بنكرياس ابنته المختفية التي ميزها فور رؤيته لدميتها الجالسة والتي تحمل الكيس البلاستيكي الحافظ للبنكرياس.أطلق الرجل صرخة ألم كالحيوان الجريح .

نورا أمام شاطئ نهر مهجور بالقرب من سقيفة متهالكة مع فتاة مراهقة أنقذتها من شبكة تجارية للبشر.

ـ " لماذا ساعدتني ؟ "

ـ أخرجت نورا سكينا من جيبها وقدّمته لها: **" لأنه لا أحد ساعدني...و الآن قرري."**

وضعت السكين في يد الفتاة ثم تركتها مع رجل مقيد أمام السقيفة **(المسئول عن اختطافها)** . تمشي بعيدا ...تسمع صوت صراخ يتبعه سقوط جثة في النهر، تغمغم وهي تختفي في الضباب: **" العدالة طعمها حلو "**

استراحة غذاء جمعت بعض العمال في مقهى شعبي يشربون الشاي بينما يستمعون الى آخر الأخبار حيث قرأت المذيعة المحلية **:"جثة رجل أعمال معروف تظهر مقتولة في سيارته الفاخرة ... وبنكرياسه مفقود ".**

تكلم رجل عجوز بينما يهز جراب التمر بغضب : **" اللهم انتقم من المجرمين "**.

وفي طاولة أخرى همس شاب بعيون ذكية لصاحبه الذي يدخن سيجارته ويستمع للراديو في اهتمام : **"هذه الرابعة هذا الشهر ... كأنما ملاك غاضب ينزل عقابه "** توقف عن الكلام ليستمع الى المذيعة التي أكملت **:" وفي شمال المدينة وجدت السلطات المحلية رجل أربعيني يطفو على النهر لم تتعرف عليه الشرطة فبقائه لفترة طويلة في الماء جعلت التعفن يطمس ملامحه ."**

بعد أقل من شهر انتشر ترند في ثلاثة دول لقاضية الظلام التي لم يتفق الجميع على حبها فمنهم المعارض ومنهم المشجع حيث الملايين من الناس علّقوا على مقطع فيديو لضحية سابقة تبكي تصرح :"**هي من أنقذتني من الجحيم .". .**
وعلى تويتر تغريدة لمحام **:" هذه أعمال ارهابية بغض النظر عن دوافعها ".**
ومنشور غامض يفيد بـ **:" إنها تأكل خطايانا ... لتطهرنا "**
تشاهد نورا هذا كله من مكتبة انترنت عامة عبر هاتف محروق سرقته من ضحية . تمرر إصبعها على شاشته بينما تبتسم .

الفصل السابع : أسطورة تنسج في الظلام

خلف مكتب فخم يجلس رجل في الخمسين من عمره بشعر يغطيه الشيب و ببدلة رسمية وحذاء كلاسيكي يهز قدمه بتوتر بينما ينتظر خبرًا ما.

ـ " هل تسمح لي بالدخول سيدي العمدة ؟ "

ـ " أدخل ..."

ـ " سيدي لقد وصل جميع من في المدينة الى الساحة كما أمرت وهم في انتظارك الآن "

ـ " سوف آتي على الفور ... أخبرني أولا هل هناك أخبار جديدة عن القاتلة "

ـ " لا يا سيدي إنها ماهرة في اخفاء أثرها وهذا راجع الى استخدامها لأدوات غير معقدة وبسيطة "

ـ " ماذا تقصد بغير معقدة "

ـــ" في وقتنا هذا يستخدم أغلب القتلة أدوات حديثة كالمسدس مثلا وهذه القاتلة تستخدم سكينا واحدا تستخدمه لكل الضحايا هذا ما قاله الطبيب الشرعي ."

ـــ " أقسم أني لن أهنئ قبل أن أُعدم هذه المجرمة الطليقة أمام الجميع لتكون عبرة لمن يعتبر" قالها العمدة بينما يضرب بقبضةِ يده المكتب الخشبي .

وقف في ساحة المدينة بشموخٍ أمام حشدٍ غاضب :

ـ " أؤكد لكم أن القاتلة ستُمسك قريبا ! فقط انتظروا "

ـــ " تستحق الاعدام ...المجرمة " قالها أحد الرجال المؤيدين

ـ صوتٌ معارض قادم من وسط الحشد يصرخ **:" هي لم تقتل إلا المجرمين "**

و في الجانب الآخر امرأة عجوز ترفع لافتة **: " شكرا لأم الظلام "**

وفي تلك الفوضى التقطت الكاميرات التلفزيونية شرطيًا شابا يخبئ ابتسامة وهو يفرق الشعب .

انتصف الليل وفي ظلمته مراهقان يجران تاجر مخدرات إلى الزقاق : **" سنقدمك هدية للقاضية "** وفجأة تظهر نورا من الظل :

" أنا لا أتقبل هدايا الأطفال ! ". ثم تأخذ الرجل وتترك المراهقين مربوطين بشريط تحذيري مكتوب عليه : ***" العدالة ليست لعبة ".***

علقت نورا تاجر المخدرات على الحائط بمسامير غرستها في راحة يديه لتبقيه ثابتا بينما تعمل على لوحتها الفنية أقصد الدموية حتى حط على كتفها غراب أسود قال لها بجدية :

"نورا الجميع يتحدث عنكِ، ما رأيكِ في أن نغادر قبل أن تمسك بكِ الشرطة ؟ "

ـ " أنت تعلم يا أدهم أني لا أهتم سواء أمسكوا بي أو لا .أساسا أرى الكثير من المؤيدين لي يعني حتى لو مت فهناك من سيمشي على خطاي .

ـ " هل جننتِ ، أنا لن أسمح لكِ بالموت و..... "

قاطعته نورا بينما تفتح بطن الضحية المعلقة أمامها وتدخل يدها لتستخرج أحشاءها :" **لماذا تريد تعكير مزاجي هكذا ؟ ...فقط عش اللحظة ولا تهتم "**

زفر أدهم وحلق بعيدا بعد ما ضجر من الحديث معها بينما تركها تستلذ بطعم البنكرياس الوردي والطري .

انتهت نورا من عملها وتخلصت من الجثة . ثم قامت بتنظيف المكان بعناية ثم قامت بالاستحمام وارتدت شيئا مريحا . نظرت الى المرآة لأول مرة منذ زمن وابتسمت بغرور وقالت :" **لماذا لم أنتبه من قبل أني أصبحت جميلة الى هذا الحد "**ثم قامت بتسريح شعرها الأسود القصير وخلدت الى النوم .

"رأت نفسها في قصر فخم يزينه من الخارج رأسا أسد أمام الباب وفي الداخل كان أجمل بكثير بثرية عملاقة معلقة في السقف وتلك الوجوه المعلقة على الحائط تبدو مألوفة بعض الشيء تجولت نورا بعينين منبهرتين وهي تتفحص تلك الصور الى أن رأت صورتها وهي العاشرة من العمر في حضن رجل وسيم تعرفت عليه على الفور ابتسمت وقد عادت ذكرياتها

*الى تلك اللحظات وفجأة سمعت صوته:**"أميرتي لقد كبرتِ"**...التفتت بسرعة ولم تجده صرخت باسمه : **" أبـــي !"** لكنها لا تراه فقط تسمع صوته .جرت مسرعة في جميع أنحاء القصر تبحث **عنه "إنه هنا أنا متأكدة !"** همست بتلك العبارة وهي تدخل الى قاعة كبيرة ومخيفة ، لكنها وجدته ملتفتا الى الجهة الأخرى ، اقتربت نحوه ببطء وما ان وضعت يدها على كتفه لتديره نحوها تلاشى كل شيء أمامها وتحول المكان الى ظلام بينما هي وقعت في حفرة كبيرة.."*.

شهقت بقوة حتى استيقظت وهي غارقة بالعرق وأنفاسها متسارعة تكاد تنقطع **،" كان مجرد حلم... أو رؤيا ! "** همست بها مخاطبةً نفسها ، نظرت الى الساعة لتجدها الخامسة صباحا زفرت ثم أعادت الغطاء لتعود الى النوم لكن النعاس خذلها لذا ارتدت معطفها ثم خرجت لتستنشق بعض الهواء النقي .

لم تستطع تذكر حلمها لكنها لم تنسى تلك الكلمة بصوت أبيها **:" أميرتي لقد كبرتِ "** لطالما كان يناديها بأميرتي ، لكن أين هو ... ربما مات ... أو في السجن ...لا يمكنها أن تعرف ،لكن فكرة أن لديها عائلة تجعلها تشعر بالدفء ،ابتسمت للحظة

وتخيلت نفسها تلتقي بأبيها وتعانقه ماذا ستخسر لو حاولت البحث عنه صحيح أنها ستتأذى من الحقيقة كما في السابق لكنها اعتادت على الفراق والوحدة .

ـ **" آه يا أدهم أين تختفي حين أحتاج اليك ؟ "** قالتها بصوت خافت .

ـ **" ومن قال لكِ أني أختفي؟ ... أنا ألازمكِ كظلكِ "** قالها أدهم وهو يتشكل أمامها

ـ **" ساعدني في إيجاد أبي "** قالتها نورا بجدية

ـ أجابها وهو يرفع حاجبه **:" وكيف ذلك أتظنين أني مسئول بلدية أم ماذا ؟ "**

ـ قالت بتلهف بعدما أعجبتها فكرة البلدية **:" أحسنت ...سنذهب الى البلدية الآن !!"**

ـ أدهم بعبوس : **" الآن ؟** "نظرت اليه بنظرة ترجي فتابع :" **لا تنظري اليّ هكذا ،أنتِ تعلمين أني لن أرفض لكِ طلبا "**

بعد ساعة من المشي على الأقدام وصلا إلى مكتب البلدية معا وسألت نورا السكرتيرة :

ـ **" عفوا سيدتي هل يمكنني أن أعرف ان كان والدي على قيد الحياة أو لا ؟ "**

ـ " بالطبع أخبريني عن معلوماته الشخصية كاسمه ولقبه وتاريخ اختفاءه "

شخصت عيناها عندما تذكرت أنها لا تعرفه جيدا لكنها رتبت أفكارها وأجابت :

ـــ " لا أملك معلوماته لكن ما أعرفه هو أن زوجته هي فاتن واسمه أنور حسن ...آه تذكرت قبل حوالي عشر سنوات اعتقلته الشرطة...هل تكفي هذه المعلومات ؟ "

ـ نظرت اليها السكرتيرة بشك ثم قالت :**" نعم ..أظنها تكفي فقط أمهليني بضع دقائق "**،بحثت في حاسوبها وبعد نصف ساعة تقريبا رفعت عيناها ونظرت الى نورا ثم الى الطفل الذي معها ثم قالت :**" اسمه أنور حسن وهو رجل أعمال معروف بثروته مكث في السجن لأربع سنوات ،يعيش في قصر بمدينة "موريس براندت " .**

ـــ " شكرا لكِ سيدتي أنا ممتنة لك "

ـ " العفو "

خرجت نورا من البلدية والفرح يشع من عينيها نظرت الى أدهم ثم قالت :"**لم أتوقع أنها بهذه السهولة ،فلنذهب الآن"**

ـــ " الشمس على وشك الغروب فلننتظر الى الغد "

زفرت نورا ثم قالت :**"حسنا "**

زعيم عصابة يجلس مع أعضائه في مقرهم السري يتحاورون فيما بينهم لأجل كسب رضا الدولة والشعب لئلا يبقوا منبوذين في بلدهم .

ـ " هذه المرأة أصبحت أسطورة ... علينا أن نكون أبطالا بقتلها "

عضو آخر من العصابة يقاطع الزعيم بجرأة:**" المشكلة أنها على حق "**

رمقه الزعيم بنظرة غضب ثم أردف :

ـ"لا يهمنا ان كانت على حق أو لا فرأي الدولة يكفينا ألا تريد كسب المال !"

في تلك الأثناء كانت نورا تستمع الى حديثهم من أسفل الحائط الخارجي وتفكر بصمت .

عادت الى شقتها وخلدت الى النوم على أمل أن ترى والدها مرة أخرى .احتدت عيناها فجأة لخاطر قفز الى تفكيرها **" ماذا لو لم يعرفني"** لكن سرعان ما غطت في النوم من شدة التعب فأمامها يوم مهم بالنسبة لها .

استيقظت على صوت نداءات أدهم المتكررة حتى نجح في إيقاظها أخيرا

ـ " لو كان لي أمل مثلكِ في إيجاد والدي لما نمت الليل أبدا!"

ابتسمت نورا ببلاهة لهذه الحقيقة وابتسم أدهم بدوره **:" الآن تيقنت كم أنتِ بلهاء "**

بررت بنبرة متلعثمة بسبب تأثير النعاس الذي لازال يسيطر عليها **:**

ـ"لست بلهاء كل ما في الأمر أني نمت متأخرة الليلة الماضية و... "

قاطعها أدهم وهو يكتم ضحكته قائلا :

ـ " إن سهرتِ الليلة الماضية وأردتِ تأجيل عملية البحث عن أبيكِ فلا فرق عندي ان..... "

ـــ "حسنا ، لنذهب سريعا لن احتمل انتظار دقيقة واحدة ! ."

امتطيا خيلهما وتوجها الى مدينة موريس براندت التي تبعد عن مدينتهما بست ساعات ولأن أنور حسن رجل معروف استطاعا تحديد مكانه بسهولة وذلك عن طريق سؤال بعض المارة .

وقفت نورا أمام باب القصر الخارجي وعلى وشك الطرق عليه لكنها مترددة، لأنها ولأول مرة أحست بالضعف والخوف... استجمعت شجاعتها وطرقت الباب .

الفصل الثامن : الرؤية الجديدة

يجلس في حديقته مقابل حوض الأسماك الخاص به يطعم أسماكه وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة ذابلة يخفي بها ألم نفسه المكبوت الذي بلغ درجة استعصى معها اظهار القوة ، يتكئ على عصى ذهبية بمقبض على شكل رأس أسد بينما يشاهد أسماكه التي تسبح بسعادة حسدها عليها . قاطعه صوت أنثوي لإحدى العاملات في قصره الذي امتلئ بالخدم بدلا من أصحابه :

ـــ "سيدي أنور هناك من تريد رؤيتك "

ـــ "لا بد أنها من المتسولين أعطها بعض المال ولتذهب في حال سبيلها "اجابها وهو ملتفت الى الأسماك ويطعمها

ـــ " لكن يا سيدي تقول انها تعرفك جيدا ! "

ـــ " ومن لا يعرفني افعلي ما أمرتكِ به ولا تجادليني "

انحنى صوت العاملة إلى همسة مترددة كأنما تحمل رسالة ملغومة **:" انها تقول أيضا أن اسمها نورا حسن ! "**

ارتجت يد أنور على مقبض العصا الذهبية فجأة وكادت أن تسقط من بين أصابعه ، تلاشت الابتسامة الذابلة كما لو أن

ريحا شرقية باردة مرت على وجهه حتى الأسماك في الحوض توقفت فجأة عن السباحة كأنما شعرت باضطراب الماء الخفي.

ـ **"ابنتي ؟ هنا ؟ بعد عشر سنوات ؟"** همس بصوت أشبه بصرير باب صدئ .انحنى أنور فجأة وكأن كلمات العاملة ضربته بقوة في صدره ،التفت اليها ليرى تلك الفتاة التي ظهرت فجأة من خلف العاملة وشمس المغيب جعلت ظلها الطويل يلامس قدميه كشبحٍ من زمن منسي . كانت ترتدي ملابسها الجريئة بنطالها الأسود ومعطفها الطويل الملطخ بحمرة غريبة عند الأكمام وشعرها الأسود التشابك ينسدل مثل ستارة على عينيها ... عينان لم تعودا تشبهان تلك البريئتين التي حفظهما في ذاكرته بل أصبحتا كالزجاج المكسور الغارق في الضباب .

ـــ **" أبـــي ! "** قالت بصوتٍ كسرته العواصف

رائحة غامضة التصقت بها ، رائحة اللحم الفاسد والحديد القديم ، اقتربت خطوة وفي يدها اليمنى شيء ملفوف بقطعة قماش يتسرب منه سائل وردي .

ـ " **أحضرت لك هدية** " همست وهي تمد يدها نحوه .ارتعد أنور عندما سقط الغطاء القماشي ليظهر تحته بنكرياس آدمي طري مازال دافئا .

ـ" **ماذا... فعلتِ؟ قالها** وعيناه تشعران بذعر مخفي بينما ينظر الى أظافرها الطويلة المتكسرة والتي علقت بها بقايا أنسجة بشرية .

ـ " **لقد وعدتك يوما أن أطعمك أفضل ما في العالم ، أتذكر؟** " ضحكة مكتومة خرجت من بين أنيابها التي لمعت تحت الضوء الخافت :" **إنه طعم الخلود ... أبي جربه** " في تلك اللحظة أدرك أنور فجأة سبب اختفاءها قبل عشر سنوات ... ولماذا عادت الآن .

سقط البنكرياس الدامي على الرخام الأبيض بصفعة مبللة ارتد منها صوت كالصرخة الخانقة، انتكس منها انور الى الوراء وكأن الهواء حوله تحول الى سم .

ـ " **اخرجي من بيتي ! "!"** زمجر بها بصوت لم يسمعه أحد فيه من قبل ، صوت يهز جدران القصر العتيق ثم أردف مكملا

:"لستِ ابنتي ... لستِ سوى وحش " . لم تتحرك نورا من مكانها بل انحنت فقط لالتقاط البنكرياس ببرود وكأنها تلملم لعبة ألقاها طفل عنيد ثم قالت بحنق **:"لكنك علمتني أن الضعف خطيئة ..."** رفعت عينيها اخيرا وفي عمقهما بريق أشبه بآخر شمعة تنطفئ **" وأن البقاء للأقوى "**

أشار بيده المرتعشة نحو الباب ،بينما كانت الأخرى تضغط على قلبه كأنها تحاول منعه من الانفجار

ـــ" أيها الخدم أخرجوها الآن ! " بسرعة اندفع الحراس لكنهم توقفوا عندما التفتت نحوهم ، لم تضربهم ولم ترفع صوتها ، فبمجرد نظرة من تلك العينين الشاحبتين جعلتهم يتراجعون وكأنهم واجهوا ذئبة جائعة :

" لستم مضطرين لطردي " ثم مشت نحو الباب بهدوء لكن أنفاسها كانت كأزيز أفعى التفتت نحو والدها لنظرة أخيرة ثم قالت :

" لكن تذكر يوما ما ستعود إليّ... لأن الدم الذي يسيل في عروقي هو نفسه الذي يجري في عروقك " القت ابتسامة

جانبية ثم أكملت ببرود :"**ابحث عني حين تفهم الحقيقة ... حين يبدأ بنكرياسك بالألم "**

ظل أنور واقفا عند الباب الكبير للقصر يحدق في الظلام الذي ابتلع ابنته ،رائحة المطر على الأرض اختلطت برائحة الدم التي علقت بأنفاسه ، اغلق الباب ببطء وكأنه يغلق تابوتا ثم عاد الى حديقته ومشى بترهل ثقيل نحو حوض الأسماك الذي كان مرآة لهدوئه الوهمي حيث يحسد الأسماك التي تسبح كما لو أن شيئا لم يحدث ، التقط حجرا من الأرض ورماه في الحوض .

ـــ همس لنفسه محاولا تبرير طرده لها " **يجب أن أحميها ... حتى من نفسها "**

ثم كالصاعقة انتشله من أفكاره صوت عابر يعرفه جيدا ***:" أنور مهما حدث لا تتركها وحيدة ... هي ليست قوية كما تظن "*** كان صوت زوجته فاتن التي ماتت في اليوم الذي اعتقلته الشرطة ،ارتجف كما لو أن شبحا لمس كتفه عندما أدرك أنه خان الأمانة .

"كان يجلس رفقة زوجته وابنته التي تبلغ من العمر عشر سنوات حين اقتحمت الشرطة منزلهم ليلا واعتقلته بتهمة الاتجار بالمخدرات ،كان منظر أنور وهو يُسحب و يصرخ بينما تتدلى نورا من بين ذراعي شرطية:" أبي لا تتركني " ولكن يده الممدودة لا تصل اليها ...فقط سمعت صوت الباب الحديدي يغلق ثم سكون يغلف المكان ."

تلاشت الذكرى عند هذا الحد وكأنها تمنح صاحبها الفرصة لعدة دقائق ليفرغ فيها بكاء سنوات عدة أمام اطار صورة الزوجة التي فشل في الوفاء بالوعد لها بحماية طفلتها من مخالب الدنيا وبؤسها ، اختنق ببكائه لأول مرة منذ عشر سنوات واختلط المطر بدموعه لكنه لم يخفِ صوت زوجته الميتة الذي يلاحقه ***:" أنور لو كنتَ أبا حقا لكنت بحثت عنها بدلا من الهرب "*** سقطت عصاه من بين يديه لتتدحرج بعيدا كخيانة أخيرة ثم سقط على ركبتيه **." آسف فاتن ... ذلك كان فوق طاقتي "** لكن فجأة اتسعت عيناه عندما أدرك أنها تنتقم ... لأنه تركها لهم .

" أقسم أنني سأجدك ...حتى لو كان ذلك آخر شيء أفعله "

ركض أنور نحو خزانة سرية في مكتبه يحطم قفلها برأس عصاه الذهبية في داخلها ملف أسود عليه بصمة دمٍ قديم فتحه بيدين ترتجفان فانهمرت صور لإبنة صغيرة مقيدة إلى سرير معدني وتقرير طبي مختوم بختم **" مشروع الخلود "** بتوقيع الممرضة : هالة عبد الغني . تذكر تلك الليلة التي زارته في السجن ليوقع بدمه على تلك الوثيقة التي تفيد التبني لتلك اليتيمة بعد وفاة أمها واعتقال والدها ، فجأة داهمه صداع مؤلم يرافقه صوت هالة يطن في رأسه كما لو كان بالأمس :

ـــ"سآخذ الطفلة كضمانة لسكوتك ... يا أنور وإذا تجرأت على الكلام سأجعلها مادة لتجاربي ... هل تعلم ما يحدث حين يستخرج البنكرياس من جسد حي؟!"

سحق الصور في قبضته **(كل هذا الوقت كانت هالة هي من حوّلت نورا الى وحش)** أغمض عينيه فتزاحمت ذكريات ليلة الاعتقال مجددا في رأسه :

بينما كان يُقاد مكبلا كانت الممرضة هالة تهمس في أذنه :"

أخبرتك أن الفئران لا تهرب من مختبراتي خاصة الفئران الصغيرة ! " *ثم تمرر له صورةً لنورا وهي مربوطة في غرفة بيضاء وعيناها تتوسلان النجدة .*

صرخ أنور ***": لا ! هي ليست جزءا من أبحاثك ؟ "***

ـ " كل البشر أبحاث في النهاية ... سأرسل لك تقارير شهرية عن كيف سيكون طعم بنكرياسها " *قالتها هالة وهي تضحك بخبث .*

عاد الى الحاضر ولم يشعر بنفسه إلا وقبضته تحطم مرآةً كانت أمامه وهو ينزف دون أن يشعر ، جثا على ركبتيه في قبو قصره المنسي بين أكوام الملفات المغبرة وبين يديه سجل طبي قديم يوثق تجارب هالة لمشروع الخلود ،قلب الصفحات بسرعة لكن ما جذب انتباهه الصفحة الأخيرة الممزقة بعنف باستثناء جزء واحد:

ـ"الحالة رقم (7) : نورا حسن ـ استجابة غير متوقعة ـ الضحية ترفض الموت " تحتها بصمة إصبع دموية شكلها

يشبه ندبة على شكل نجمة... نفس الندبة التي كانت على رقبة ابنته !

صرخ بصوت مبحوح : **" ستندمين لأنكِ جعلتِ منها وحشا ...سأقتلكِ بيديّ يا هالة "** . لكن أنور لا يعرف بعد أن نورا قد فتكت بهالة منذ شهر ،كل ما يره الآن هو خنجر صدئ موضوع بدقة فوق الملف مع ورقة صغيرة مكتوب عليها : **"شكرا لأبي... على تعليمي كيف أذبح الوحوش "** لكنه استوعب شيئا ما ،ارتدى ملابس سوداء وراح يركض في شوارع المدينة الماطرة ، كل لافتة تشوهها سكاكين ،كل ظل يتحرك يبدو كشبح نورا .

يدخل الى ملهى ليلي مهجور (في أسفله مكان تجارب هالة) ينزل السلالم ببطء ليندهش بمختبرها السري ، على الحائط عُلّق مخطط تشريحي كامل للانسان مع دائرة حمراء حول البنكرياس التفتت للجانب الآخر ليرى خزانة حفظ أدوية مفتوحة جزئيا بداخلها شهادة وفاة مزورة لهالة و فيديو حديث على هاتف محمول تُظهر لقطات مشوشة لنورا وهي تطعن هالة مرارا وتكرارا لكن أنور لا يصدق عينيه كيف لفتاة بريئة أن تفعل كل هذا دون ندم ؟ لم يفكر كثيرا وقرر لأن يذهب الى

المدينة التي كانت نورا تعيش فيها .مشى بروية في أزقتها ليجدها ملطخة بدماء الضحايا لكنها بطريقة رمزية غريبة ،كل علامة دم تقوده الى مكان من ماضيه الأسود تبعها حتى وصل الى مخبأه السري القديم ...الباب مفتوح ... وفي الداخل قابلته حافظات للدم معلقة على الحائط كل واحدة كُتب عليها اسم وتاريخ :

- **خالد :** سارق مجوهرات الحي
- **سميرة :** الأم التي تخلت عن طفلتها
- **فهد :** السفاح الذي كان يخطف الأطفال

وفي المنتصف بنكرياس محفوظ في جرة زجاجية مع ملصق

"هذا كان للضبع ... احتفظت به من أجلك "

الفصل التاسع : الصحوة القاسية

في شبابه قام بخيانة شريكه " الضبع" وسرق شحنة كبيرة من الهيروين ولكي ينتقم منه اختطف نورا ، ابنة السبع سنوات من المدرسة ، دفع أنور الفدية لكن الضبع تراجع وأخذها معه .
*بعد ثلاثة أشهر عثر عليها والدها في قبو بمزرعة. جالسةً وسط دماء خمسة رجال... كلهم بأحشاء مدفوعة إلى الخارج ، نظرت إليه بابتسامة بريئة فارغة : **"أبي ... علمتهم ألا يلمسوا الأطفال مجددًا !"***

انتشله من ذكرياته صوت رنين هاتف لرقم مجهول يفتح الخط ليأتيه صوت نورا الهادئ يهمس: **" كنت أظنك ستفهم... لكنك مثل الجميع تخليت عني أيضًا "** وفي الخلفية سمع أنور صوت أنين رجل مع صوت سكين يقطع لحما.

دفع باب منزله القديم ، تسللت الى أنفه الرائحة نفسها :تراب البلاط، زيت المصباح، ورائحة الخبز المحروق التي كانت تصنعها زوجته ، وفي زاوية المطبخ وجدها جالسة على الأرض

تلعب بدمية محشوة بقطن (آخر هدية من أمها) ترفع عينيها نحوه، لا غضب ، لا دماء ،... فقط تعب قديم .

ـــ **" كنت أعرف أنك ستأتي أخيرا "** قالتها وقد ابتسمت أخيرًا

ركض أنور نحوها يحتضنها بقوة كأنه يخشى أن تتبخر ، دموعه تسقط على شعرها الأسود القصير لتبلله .

ـــ **" سامحيني ... سامحيني لأنني لم أحميكِ "**

ضغطت نورا على يده وهي ترتجف **:" لا أحد يستحق الموت ... لكن بعضهم يستحق التوقف ، وأنت تعرف من كانوا "**

توقفت السيارة أمام بوابة القصر ، فتح لهم السائق باب السيارة فترددت نورا في النزول ، ضغطت على حقيبتها السوداء التي تحتوي على كل ممتلكاتها : سكين ، جواز سفر مزور ،وصورة قديمة لأمها .

ـ **" لن أجبركِ على البقاء ... باب والدكِ مفتوح دائما "**
التفتت اليه بعد ما قال جملته ثم خرجت من السيارة كالماشية إلى الذبح .

تجولت في أنحاء القصر لتتوقف عند أجمل جناح ، كان واسعا ومطليا بلون زهري بطابع أنوثي جميل ، الأثاث كان بسيطا ولطيفا فجأة أحست بيدين تحطان على كتفها استدارت لتجده أنور .

ـ **" جميلة أليس كذلك ؟... جهزتها لكِ منذ سنوات لطالما انتظرت مجيئك "**

ابتسمت نورا ببلاهة فهو لا يعلم انها من عشاق اللون الأسود لكنها جاملته : **" جميلة أعجبتني "**

بعد منتصف الليل احس بجفاف في حلقه فنزل الى المطبخ فوجدها واقفة أمام الثلاجة تحدق في سكين اللحم ،فتصرف وكأنه لا يبالي شرب ماءا ثم سكب كوب حليب دافئ ووضعه على الطاولة أمامها وغادر المطبخ دون أن يتفوه بكلمة .

استيقظ أنور فجرا فوجد الكوب فارغ والسكين في مكانها ، تنفس الصعداء فشيء بسيط كهذا حرمه من النوم في الليلة الماضية ، بحث عنها فوجدها في الحديقة تجلس تحت شجرة تفرك عنقها لا إراديا ألقى تحيته ورمى أمامها بذور زهور جديدة في التراب **:" ربما تنمو هذه المرة ".**

نظرت اليه كأنه أحمق ثم دفنت إصبعين في التربة لتتحسس الدفء ، أما هو فقد أدار رأسه ثم غادر الى عمله .

ذات ليلة اكتشف ملفاتها المخبأة تحت سريرها بالصدفة قام بفتحها ليجد صور جديدة لضحاياها وقائمة بأسماء جديدة ، أراد مواجهتها لكن صُدم عندما رآها تقف خلفه وقبل أن يتفوه بكلمة واجهته وهي تمسك مصباحا : **"أتعرف أنا لست قابلة للإصلاح "** نظر إليها نظرة عاتبة ثم رمى الملفات في المدفأة : **"و أنا لست قابلًا للتوبة " .**

تركته يتحدث وحده وخرجت الى الشرفة الخلفية للقصر جلست على كرسي هزاز وتنظر الى قدميها العاريتين ، أخرجت سيجارة للمرة الأولى ووضعتها في فمها بينما تنظر الى موقد النار

أمامها الذي لم تستطع اشعاله ... فجأة اشتعل من تلقاء نفسه ثم ظهر لها الشخص الذي اتصلت به منذ قليل ليعلمها بآخر الأخبار وهو بصورة الطفل أدهم بعينيه الزرقاوين :

ـ **" ما زلتِ سيئة في إشعال النار ... مثلما كنتِ في السابق** "قالها ضاحكا ، بينما تجهمت نورا ثم قالت بتعبير نادر من الابتهاج : **" لهذا أحضرتك ... أنت خادمي المفضل "** ضحكا معا لكن ابتسامة أدهم تلاشت فجأة لتتحول الى الجدية ثم نظر حوله كمن يخشى أن يكون أحد يستمع :

ـ **" يجب أن تذهبي من هنا ، فعمدة مدينتنا وضع جائزة على رأسك ! "**

تجمدت سيجارتها بين أصابعها ثم قالت بصوت منخفض لئلا يسمعها والدها **:" لماذا الآن ...بعد كل هذه الأشهر ؟!"**

ـ **" وجدوا جثة وزيره في نهر المدينة مقطوعة الأحشاء ، يعرفون أنها طريقتك ! "**

ـ **" لكني لم أقتل أحدا منذ مدة ... أنا أحاول التعافي !"** ثم عمّ صمت ثقيل يغلف المكان حتى صوت الريح يتوقف كأن

الطبيعة تحبس أنفاسها . وفي لحظة شرود فُتح الباب خلفهما فجأة ليظهر أنور وفي يده مسدس وعيناه لا تتركان أدهم بينما قال :

ــ " كم شخصًا يعرف أنك هنا ؟ "

ــ " لا أحد ... أقسم ! لكنهم يبحثون في كل مكان "

قاطعتهم نورا بهدوء خطير:" **أدهم ، ماذا قالوا بالضبط عن الجثة؟" ــ " قالوا أن البنكرياس نُزع بطريقة جراحية ـ وكأنكِ طبيبة"**

نظرة تبادلية بين أنور ونورا فكلاهما يعرف أن هذه ليست طريقتها .

ــ **" نورا لدي ما قد يساعدكِ "** ثم أخرج أدهم خريطة تُظهر مواقع تمركز دوريات الشرطة حول المدينة ووضعها على الطاولة أمامهم ، شعرت نورا بالخطر يقترب لذا بحركة لا إرادية وضعت يدها على السكين في حزامها لكن أنور هدئها بوضع يده على كتفها **:" ليس الآن ، لن نحل هذه المشكلة بالقتل "**

قاطعهم أدهم مذعورا : **أنتم لا تفهمون ... العمدة ليس مثل الآخرين هو يعرف عنك أيضا يا أنور "**

تراجع أنور ثلاث خطوات الى الخلف ثم جلس على الأريكة المقابلة والتقط تفاحة من المائدة التي أمامه وقذفها لأدهم : **"كُل ، صوت معدتك الخاوية يزعجني "** ثم انحنى قليلا ليكون بمستوى أدهم الصغير ثم قلّب سكين تقطيع الفاكهة على الطاولة كرمز غير معلن للسيطرة :

ــ " أجبني بهذا الترتيب : هل تحدثت مع العمدة وجها لوجه ؟ ... ماذا يعرف عنّي بالضبط؟ ... أين وُجدت الجثة بالضبط ؟" غمغم أدهم بإجابة لكن قاطعه أنور قبل أن يتكلم **:" غيرت رأيي ابدأ من النهاية ، مكان الجثة أولا "**

وبعد انتهاء تحقيقه مع أدهم لمع طرف سكينه نحو ابنته فجأة، ليس تهديدا... بل اختبارًا : **" أنتِ قتلتِ وزيره ؟"**

عبست كطفلة اتهمت بسرقة حلوى ثم قالت **:" لو كنت أنا ...لكانت الجثة في عتبة داره وليس في النهر !"** . أغمض عينيه لثانية فهذه الإجابة ترضيه .

نهض أدهم من مكانه لكن أنور لاحظ شيئا يبدو غريبا ، ظله غير موجود مع أنه يقف تحت ضوء مصباح متدلي ثم نقل بصره الى القهوة التي صنعها فوجدها باردة رغم أنه قال إنها طازجة !

ـ **" متى متَ يا أدهم ؟ "** أنور بصوت هادئ كالموت

صمت ثقيل غلف المكان ثم ضحكة طفولية تقطر مرارة ملأت الغرفة .

قهقهت نورا بينما ترمي له حبة زيتون **:" أخيرا ...أبي العبقري يكتشف أن صديقي المفضل شبح ! كم سنة احتجت ؟ عشر؟ أم خمسة عشر ؟ "**

ـ **" كل هذا الوقت وأنتِ تعرفين ؟ "** قالها أنور بينما يجرجر كرسيه للخلف وكأن الأرض اهتزت تحت قدميه .

ـ **" واااو ! هل ظننت أني أقتل الناس فقط ؟ أنا أيضا ألعب الغميضة مع الأشباح "** نورا وهي تتظاهر بالصدمة .

بعدها نهضت من مكانها وعدلت سوارها الجلدي حيث تخبئ سكينتها المفضلة : **" حسنا حان وقت تسليم نفسي "**

ــ قفز أنور من مكانه كالأسد الجريح : **" مستحيل ! سنهرب إلى... "** قاطعته نورا بضربة خفيفة على كتفه **:" أبي لست هاربة ، هذه المرة سأمشي بنفسي إلى باب العمدة تكفيرا لما فعلته طيلة حياتي "**

خطت خطوة الى خارج القصر لكنها صُدمت بحشد ضخم من الفقراء وأطفال الشوارع واقفين كجدار بشري رافضين فكرة تسليم نفسها للموت .

ظهرت امرأة عجوز تزحف للأمام **:" أنتِ قطعتِ يد زوجي السارق ـ لكنكِ أعطيتني مالا لعلاج ابنتي ، لن نسمح لهم بأخذك "** . ثم رمى لها طفل بقدم مشوهة وردة بينما قال :" **أنتِ أطيب من العمدة .. هو يسرق منا حتى دمائنا "**

لأول مرة منذ زمن لمعت عينا نورا تأثرا ثم قالت **:" لهذا بالضبط يجب أن أذهب ، لأنكم تستحقون من يقطع رأس هذا الوحش بدلا من بنكرياس المساكين "** لكن قطعت كلامها

حين داهمها تساؤل على حين غرة **(من أخبرهم أني ذاهبة الى العمدة)** لكنها وجدت الجواب عندما التفتت الى أدهم فوجدته يضحك بخبث و يرفع كتفيه كناية على عدم المعرفة:

"ماذا... لست أنا من أخبرهم ! "

الفصل العاشر : المعجزة السوداء

وقف العمدة على منصة خشبية مزينة بشعاره الذهبي يتفاخر بنصره كأنه في حفل زفاف وهو ينظر الى نورا المقيدة بالسلاسل الحديدية أمام حشد من السكان بين مؤيد ورافض لفكرة قتلها ، صرخ العمدة بوجه منتفخ من الكبرياء :

" هذه الحية التي أرهبت مدينتكم ستذوق حبل المشنقة اليوم " ثم أعطى إشارة لحراسه لبدء مراسم الإعدام فهو لن يفوت الفرصة التي جاءته الى باب قصره:

ـ" اشنقوها ... الآن !"

يُلف الحبل حول عنق نورا التي ضحكت بصوتٍ عال كالرعد : **" أيها العمدة ... أنت لن تستطيع قتل شخصٍ ميت "** ثم بحثت بعينيها عن والدها لتشبع عينيها برؤيته قبل أن تموت ، نظرت إلى عمود الإنارة المضيء في النهار على غير العادة لتقع عيناها على البديل ... انه أدهم مشيرا لها بأن تنتظر قليلا . **"...كم كنت صديقا وفيًّا بعد قليل سأصبح روحا تائهة مثلك "**

كان حبل المشنقة قد بدأ بالفعل بالانضغاط حول عنق نورا وازرقّ وجهها بينما ارتفعت منصة الإعدام الخشبية قليلا تحت قدميها ، في حين صمت الحشد فجأة وكأنهم أدركوا فظاعة ما يحدث ثم انفجار ...

ليس انفجارا حقيقيًا بل صوت باب القاعة الكبيرة وهو يُركل بقوة ، فيدخل رجل نصف ملتح بعيون حمراء من الإرهاق ...إنه والدها ،" **توقفوا ! "** صرخ بصوته الأجش ممسكا بمسدس قديم ، نبرة صوته جعلت الجميع يتوقف حتى الجلاد أبطء بحركة يده على الرافعة .

التفت العمدة اليه متهكما :" **أوه ، الأب المشرد قرر أخيرا الظهور ؟ بعد كل سنوات السجن؟ "**

تقدم أنور نحوه بخطوة والمسدس يرتجف في يده " **لقد هربت لأنني عرفت أنكم ستلاحقونني... لكني لم أكن أعرف أنكم ستمسكون بها بدلا مني !"**

هتف العمدة بعصبية بالغة : **"ابنتك قاتلة وستدفع الثمن ... هل سمعت ؟ "**

حاولت نورا الكلام لكن الحبل يخنق أنفسها وعيناها تفيضان بالدموع وهي تراه لأول مرة منذ سنوات بهذا الغضب والتوتر

هز العمدة رأسه **:" لا يهم ، يمكننا قتلكما معا** " ثم أشار للحراس لكن قبل أن يتحركوا صرخ أنور : **" لدي دليل ! دليل أنكم من سممتم الآبار العام الماضي ،وقتلتم الأطفال ،نورا كانت تعرف ولذلك حاولتم التخلص منها بحجة أنها قاتلة في حين هناك عشرات المجرمين يتجولون بإرياحية تامة هذا ان لم نقل مئات ، هل هذه هي العدالة في نظركم ؟".**

صمت ثقيل ، أنفاس نورا تتسارع ، بعض الوجوه في الحشد تغيرت ، شحب وجه العمدة ثم صرخ **:" أطلقوا النار عليه ! "** لكن قبل أن يطلق الحراس النار سمعوا صوت رصاصة تحذيرية من أدهم الذي لم يره أحد ،انبطح الجميع خوفا بمن فيهم العمدة في حين ركض أنور نحو منصة الإعدام صعدها بسرعة وقطع حبل المشنقة بسكين كان قد خبأه مسبقا في جيبه لتسقط نورا في حضنه تلهث بقوة بحثًا عن النفس.

ــ " **آسف ... آسف جدا ...**" همس بها والدها وهو يمسح دموعه لكن الوقت ليس للنوح فالعمدة يهرب نحو سيارته والحراس في حيرة لذا ترك أنور ابنته ولحق به قبل أن يهرب ، أما هي فقد لمحت سكينا صغيرا داخل كومة قش تحت المنصة كان قد وضعها أدهم سابقا قطعت قيودها بسرعة واختفت بين الفوضى ... لكنها لم تهرب بل تسللت الى شاحنة العمدة المركونة على حافة الطريق حيث وجدت : أرشيفا سريا عن تجارة أعضاء الأطفال وقائمة بأسماء ضباط متورطين . أخذت الأوراق وتركت بدلًا منها جثة جرد ميت مع ملاحظة : **"هذه أحشائي ... ابحثوا عن أحشاء أطفالكم "**

في المساء ،جلست نورا على سطح مبنى تراقب الأحداث من بعيد اذ انتشرت الملفات التي وجدتها في الشاحنة ، وحدثت فوضى لا يمكن وصفها فقد ثار الشعب وتخلى الضباط عن العمدة خوفا من الفضيحة في حين زُجّ بالعمدة في سجن المدينة .

ــ " **اليوم ... كنتِ قاضية حقيقية** "قالها أنور وهو يسلمها كوب شاي بالزعتر .

شربت نصف الكوب وأعطته الباقي ثم قالت :

"لا تبالغ ... أنا فقط أكملت المهمة التي بدأتها " ثم شردت قليلا بذكرياتها ،لكن قاطعها أنور قائلا **:**

" آه ... تذكرت أريد الرحيل فالمدينة أصبحت بخير ولا حاجة لها بنا "

ـ " إلى أين نذهب ؟"

ـ " بعيدا هذه المرة لن أتركِكِ أبدا "

كانت عجلات العربة الخشبية تصرخ تحت ثقل السرعة ، تضرب الحجارة المتناثرة على الطريق الترابي الضيق الذي يخرج من المدينة ، جلست نورا على مقعد العربة تمسك بحافة الجانب الخشبي بقوة وعيناها لا تتركان الطريق خلفها ،كانت تعرف أن كل دقيقة تمر تقربهم من الأمان وكل نظرة خلفها قد تكون الأخيرة التي ترى فيها أسوار تلك المدينة الملعونة .

ــ **" انحني ! "** صرخ والدها فجأة فانحنت بسرعة دون تردد فسمعت صوت رصاصة تصفر فوق رأسيهما بينما سحب أنور زمام الحصان بقوة محرفا اتجاه العربة نحو طريق جانبي ضيق بين الأشجار ،أُطلقت رصاصة ثانية اخترقت إطار العربة الخلفي ولحسن الحظ صمدت لأن الخشب المتين صدّها .

ــ **" هل أنتِ بخير ؟"** سألها والدها دون أن يلتفت فعيناه مثبتتان على الطريق المتعرج أمامهما .

ـ **" أفضل من أن أكون معلقة على حبل المشنقة !"** ثم أخرجت سكينا صغيرة من حزامها و أكملت **:" لو اقتربوا أكثر... سأعلمهم لماذا يهابني الجميع "**

بعد ساعات من الركض ، توقفوا عند ضفة نهر صغير، نزلت نورا وهي تفرك عنقها عند أثر الشنق لكنها لم تظهر أي ضعف بل تحسست محيطها بحذر قبل أن تسمح لنفسها بالاسترخاء مشطت شعرها الأسود بأصابعها ثم ملأت قربة ماء من النهر لتشرب منها.

ـ **" أدهم سيعرف أين سيبحث عنا "** .قالتها بينما كانت تعيد ملء القربة .

نظر إليها أنور بنظرة فخر ثم قال بينما يفحص جرحا صغيرا في ذراع الحصان **:" أنتِ متأكدة أنه سيكون بخير ؟ أخشى أن يُكتشف أمره"**

ـ أومأت رأسها بثقة : **" هو أكثر ذكاءًا مما يبدو ، لقد دربته بنفسي ، سيبقى في الظل ليجمع المعلومات اللازمة وعندما يحين الوقت سيجدنا "**

في اليوم الثاني بينما كانوا يعسكرون في كهف صخري ، رسمت نورا خطة في التراب بإصبعها بدأت في الشرح :

ـ "أدهم يعرف كل مخبأ سري في المدينة، سيبيع الممتلكات واحدة تلو الأخرى وسيستخدم صبية الشوارع لنقل الأخبار"

ـ " وهل نثق بهم ؟" سأل والدها وهو يشحذ سكينه .

ابتسمت بثقة **:" أكثر مما نثق بالكبار ، هؤلاء الصبية يعرفون كيف يختفون ولقد وعدوني بالولاء "**

ـ " افهم مما قلتهِ أنكِ تريدين نشر الأخبار التي تريدينها لكسر ما تبقى من كبرياء الشعب ليثوروا وتنشغل الدولة بهم ريثما نستقر في مكان آمن وبعيد !"

ـ " بالضبط !! " صرخت بها نورا بحماس

بعد أسبوعين من التخفي قصدوا سوق بلدة صغيرة نائية ومنعزلة بحيث يستحيل أن يتعرفوا على نورا بعد كل ما حدث في المدينة من فوضى ن كانت نورا تبحث عن البضائع التي تحتاجها لرحلتها إلى أن سمعت صفيرًا مألوفا ، التفتت

بسرعة لتجد أدهم واقفا عند زاوية مرتديا ملابس متسولة لكن عينيه كانتا تلمعان بالذكاء ، قادها إلى مكان آمن ثم أخرج من تحت قميصه كيسا من النقود.

ـــ " **بدأت ببيع الخيول أولًا** " ثم همس " **ثم الجزء الجنوبي من الأرض أما القصر سيأخذ وقتا طويل ،لكن لا تقلقي لدي مشترٍ** "

ضغطت على كتفه :" **كن حذرا ... لا تخاطر أكثر من اللازم** "

ابتسم أدهم ببراءة مزيفة :"**الحكومة لا تشك بي ...تعتقد أني مجرد صبي أحمق** "

مرت الأيام والأسابيع ولم يظهر أدهم وقد ساد التوتر قلب نورا التي لم تظهر ذلك وعلى عكسها كان أنور مرتبكا طوال الوقت أحيانا على أدهم الشبح الذي اختفى فجأة وأحيانا على نقوده التي بدأت بالنفاذ ولم يجد عملا بعد.

بعد ثلاثة أشهر من الانتظار الممل ،وصلت آخر شحنة من المال عبر تاجر موثوق مع رسالة من أدهم :" **القصر بيع ، الحكومة تشك بي لذا لم آتي ، سألحق بكم قريبا .**"

استأجرا بتلك النقود منزلا صغيرا عند أطراف مدينة ساحلية وقد تخلت نورا على عادتها لأكل البنكرياس وأصبحت تساعد والدها الذي افتتح ورشة لتصليح الأسلحة .

في احدى الأمسيات وبينما كانت نورا تفحص سيفا جديدا وصل للورشة سمعت صوتا مألوفا **: " أحتاج إلى سيف خاص ... لفتاة لا تعرف الخوف "** التفتت لترى أدهم واقفا في المدخل مغبرا لكنه سالم . ابتسمت لأول مرة منذ شهور :

ـــ**" لقد كبرت "** قالت وهي تمسح الدمعة التي لم تكن لتسمح لها بالسقوط.

ـــ **" وأنتِ أصبحتِ تاجرة سيئة السمعة"** رد وهو يرمي لها كيسا آخر من النقود **:" هذه المرة جئت لأبقى "**

الفصل الحادي عشر : النداء القديم

تجلس على الشرفة الخشبية وقدميها العاريتين تلامسان ندوب الأرض الباردة تحمل بين يديها شايا بالنعناع ، أول مرة تختار شيئا غير القهوة السوداء .

كان والدها يشاهدها من الداخل بينما يعد الفطور : فطائر بالبيض والزعتر... طعام طفولتها، يلاحظ كيف شعرها الأسود لم يعد متشابكا كالعادة وملابسها فضفاضة بدل السواد الدائم... لون أزرق باهت مثل فجر لم يكتمل .

تغلق على نفسها باب غرفتها ثم تمسك لأول مرة مرآة منذ سنوات ، تلمس خدها ثم تمرر إصبعها على ندبة قديمة **:" كان بإمكاني أن أكون جميلة لو ... "** تقطع الفكرة بضحكة مريرة ثم تكشف علبة كحل قديمة في درج منسي ، ترسم خطا واحدا على جفنها ... ثم تمسحه بسرعة كأنها ارتكبت جرمًا .

بعد الحاح والدها وافقت على فكرة زيارة الحمام النسائي لكنها تجهل مقصده اذ أراد أن تكتسب بعض الأصدقاء وأن تنفتح قليلا على العالم الخارجي بحجة أنها لا تغادر المنزل إلا نادرا .

كانت تخفي ندوبها تحت منشفة بينما كان النسوة يتحدثن عن أزواجهن ، فجأة سألتها إحداهن :" **وأنتِ ... هل هل لديكِ من ينتظرك ؟ "**

ـ أجابتها بصراحة مفاجئة **": كان سيكون لدي ...لكني قتلته قبل أن يقتلني "**

ساد الصمت ... ثم ضحك الجميع ظنًّا أنها تمزح .

وفي يوم ماطر ممل مُلئت سماءه الغيوم السوداء الباكية عاد أنور من السوق مساءا بجرح غائر على ذراعه ، ذُعرت نورا من حالته وقد تحولت عيناها إلى السواد القاتم من الغضب **: " من فعل بك هذا ؟"**

تجاهُل أنور سؤالها زادها غضبا فأدخلت يدها في جيب معطفه لتكشف عن تذكرة قطار إلى مدينتها السابقة وصورة قديمة

لأنور وهو يحمل نورا الصغيرة ،يقف بجانبه صديقه القديم الضبع مع اِبنه الذي يشبهه تماما .

ـــ تنهدت نورا ثم تحدثت بصوت هادئ كالسكين: **" لقد عاد أليس كذلك ؟"**

نظر إليها والدها وكأنه يرى شبحا من الماضي **:" ليس هو ... لقد عاد ابنه لينتقم !"** .

زفرت نورا ببطء ثم عادت بثقل الى غرفتها تجر قدميها صفقت الباب بقوة ثم رمت نفسها على سريرها و هي تتمتم **"سحقا ... ألن تدعوني أعيش بسلام** ؟!" وفجأة تذكرت شيئا ما وقفت بسرعة واتجهت نحو خزانتها ، أخرجت علبة صغيرة احتفظت بها طوال رحلتها بداخلها قطعة مجففة من بنكرياس إنسان ، آخر ما تبقى لها من أيامها كآكلة البنكرياس .

" ظننت أني تركت هذا خلفي " قالت وهي تدير القطعة المجففة بين أصابعها ثم ترفعها لتضعها في فمها لكن قبل أن تدخلها الى جوفها ... داهمها صوت قرع أنور على الباب قبل أن يفتحه و يدلف الى الداخل .

اقترب بفضول ثم نظر إليها بقلق : **" ما هذا ؟"**

وضعت البنكرياس في العلبة ثم أغلقتها بسرعة : **" لا شيء... لا شيء سوى بقايا حياة أخرى " .**

نظر إليها بشك ثم قال **:" حجزت تذكرة الى المدينة التي كنت تعيشين فيها، لديّ تصفية حساب مع ابن الضبع ، سأرحل صباح الغد ."**

لكن قبل ان تقاطعه سمعت صوت أدهم يصعد الدرج مسرعا بينما يصرخ باسمها .

ـ "نورا !"

ـ " ما هذه الحالة المزرية ولما تصرخ هكذا ؟"

همس وهو يلهث **:" جاء رجل من الشمال... يسأل عن الفتاة التي عرفت طريقها خارج المشنقة "**

ـ " صفه لي ! "

ـ" له عين مغطاة بقطعة قماش، يلبس كالجنود لكنه يتحدث كالأثرياء، خمريّ البشرة بشعر مموج يربطه خلف رأسه وله وشم جمجمة على ذراعه الأيسر. اتسعت عيناها ذهولا عندما رأت والدها في حالة صدمة وهو يهذي: " لقد عاد ... لا حاجة لنا بالبحث عنه "

ـ "أبي إبقى هنا وسأخرج بمفردي لرؤيته ، فبالنهاية أنا من قتلت الضبع وعليّ أن أتحمل المسؤولية بمفردي !" قالتها بنبرة حادة وجدية لم يستطع معها أنور الرفض فاكتفى بإيماءة موافقة برأسه .

خرجت نورا من منزلها لتجد الرجل ذو العين الواحدة ينتظرها عند رصيف الميناء المقابل وكأنه بانتظار شخصية مهمة كان يقف بهيبة تُرعب من حوله نظر إلى عينيها مباشرةً بحثًا عن علامات الخوف فيهما لكن لا أثر ، قال في قرارة نفسه : **"هذه الفتاة قوية ... تماما كما قيل عنها "** .ثم قال بدون مقدمات **:" لقد بدئوا الصيد من جديد "** صمت قليلا قبل أن يكمل **:" هذه المرة ليس المجرمين فقط ... إنه يأخذون الأبرياء أيضا "**

لم ترد نورا على الفور بل نظرت إلى البحر حيث كانت الشمس تلمع على الأمواج وكأن لا شيء قد تغير .

قطع الرجل الصمت بقوله المفاجئ :" **قد تظنين أني جئت للانتقام ، لكني أرى أن أبي الضبع استحق الموت بجدارة ، لذا فمسألة الانتقام قد أُغلقت منذ زمن"**

أدارت رأسها نحوه وسألته ببرود :" **لماذا أتيت إذا ؟"**

ــ " سمعت عنكِ كثيرا لذا أتيت لأخذكِ لتري الفوضى التي حلت بالمدينة منذ رحيلك وتجدي لنا الحل ."

ــ " ألم تسمع أيضا أني اعتزلت ال..." لم تكمل كلامها لأنه قاطعها بجملة أخرستها : **" لا أستطيع تخيل ردة فعل الأبرياء حين أزف لهم خبر أن قاضيتهم تخلت عنهم "**

ضربت قدمها بقوة على الأرض لصعوبة الموقف الذي وضعها فيه لذا نظرت له بحدة ثاقبة ثم قالت بتهكم:" **كم من الوقت لديّ ؟"**

ــ "السفن تغادر عند اكتمال القمر "

ـ " إذن بعد يومين !؟ ... إلى ذلك الحين لا تريني وجهك أبدا وإلا فقأت عينك الأخرى "

القى ابتسامة جانبية ساخرة لجهلها بقوته التي تفوقها خمسة أضعاف لكنه سألها بخوف مصطنع **:" هل لي أن أتشرف بمعرفة اسم قاضية الظلام ؟"**

أجابته بينما تدير ظهرها منصرفة **:"نورا حسن "**

ـ " جميل وأنا اسمي أنس وأُلقب بالنسر "

ـ" احتفظ بلقبك لنفسك " قالتها ثم غادرت المكان متمتمة **:"ما سر ألقاب الحيوانات في هذه العائلة ...أظن أن هذا يفسر غباؤهم المتوارث " .**

عادت إلى المنزل ببطء وعند دخولها وجدت أنور وأدهم ينتظرانها بهدوء

ـ **" سأذهب ".** قالت ببساطة في حين أومأ والدها بينما قفز أدهم من مكانه : **" سنذهب جميعا "**

في اليوم التالي بدأت التحضيرات فأدهم باع متجر الأسلحة واحتفظ ببعض الأسلحة الخفية أما أنور فقد أعد مجموعة خاصة من السكاكين المسمومة، ونورا أعادت فتح العلبة الصغيرة وبدأت بتدريب جسمها على تحمل السموم من جديد.

في الليلة الأخيرة قبل الرحيل اجتمعوا حول النار ، أدهم كان ينظف مسدسا صغيرا وأنور يفحص الأحزمة الجلدية للسيوف ،بينما كانت هي ... تأكل قطعة صغيرة من البنكرياس المجفف ،ذابت على لسانها والطعم المر المألوف جعل جسدها يرتجف قليلا .

ــ **" هل مازال يعمل ؟ "** سأل أدهم بفضول .

ــ **" سنكتشف ذلك قريبا "** ابتسمت وهي تتخيل عودتها من جديد كآكلة للبنكرياس.

استيقظوا قبل شروق الشمس بلحظات ، كما لو أن غريزةً ما نبّهتهم ،الضباب كان لا يزال لزجا وكثيفا يلتف حول الأشجار كأشباح عالقة خرج أدهم ليتفقد الجو لكنه فوجئ بوجود أنس

ذو العين الواحدة جاثما على صخرة قريبة يراقبهم بتلك العين التي تشبه فتحة قبرٍ مظلم .

ـــ "**حان الوقت** "قال أنس بصوته الأجش بكلماته التي تتصاعد مع بخار الفجر .

نهضت نورا بسرعة بعد أن أيقظها أدهم بعبثه لكنها تذكرت فجأة لماذا أكلت تلك القطعة من البنكرياس البارحة إثر شعورها بعودة المرارة الى حلقها ،لكن هذه المرة ممزوجة بشيء آخر ... شهوة ، شهوة العودة .

التقط أدهم مسدسه بسرعة بينما شد أنور حزام سيفه بضربة واحدة ، لم تكن هناك حاجة للكلام فوجود أنس هنا يعني أن المدينة تنتظرهم وأن ما بدؤوه قبل شهور لم ينتهي بعد .

الفصل الثاني عشر : المجزرة

ساروا خلف أنس ذي العين الواحدة ،الذي بدا وكأنه يعرف كل حجرٍ في هذا الطريق الوعر ،خاصةً وأن الشمس لم تكن قد ارتفعت تماما بعد لكن ضوءا رماديا بدأ يوح في الأفق كأنه يحذرهم من شيء ما .

ـــ **" أتمنى أن يكون عندهم خبزٌ طازج هذه المرة "** قالها أنور في محاولةٍ منه لتلطيف الجو ثم أكمل حديثه عندما لم يجد نتيجة **:" آخر مرة كل ما وجدناه كان بقايا فئران محنطة "**

تكلمت نورا أخيرا بعدما نجح والدها في لفت انباهها **:" على الأقل الفئران لا تذوق مرارة كالبنكرياس "**

ضحك أدهم وهو يفحص مسدسه **:" لو كان طعمه حلوا لكان الجميع يأكلونه "**

قالت وهي تلعب بقطعة أخرى جافة بين أصابعها قبل أن ترميها في فمها **:" ومن قال أنني أريد أن أكون مثل الجميع ؟** انتبه أنس الذي كان يسير امامهم لعبارتها الأخيرة فقد أحس

فجأة وكأنها حركت شيءا ما بداخله ليقول لها من دون أن يشعر:

ـــ" **أنتِ بالفعل لستِ مثل الجميع** " لكنه تدارك نفسه وقال مكملا :" **علي كل حال .. استعدوا للجنون فالمدينة لم تعد كما تركتموها** "

عندما وصلوا إلى الحافة الأخيرة توقفوا جميعا ،ليراقبوا المدينة التي تركوها أصبحت الآن كابوسا مرئيا ، النار تأكل بعض المباني والدخان الأسود يحجب السماء ، بينما يصرخ أناس غير مرئيين في الأزقة ناهيك عن رائحة الموت والبارود اختلطتا في الهواء .

ـــ " **حسنا ... على الأقل لن نمل** " قالها أنور وهو يعدل قبضته على سيفه بينما يبتسم وكأنه في عرس .

ـ " **أين تريدون أن تبدءوا ؟** سأل أنس وكأنه يعرض عليهم قائمة طعام في حانة

نظرت نورا إلى أدهم ثم إلى أنور قبل أن تهمس " **لنبدأ بالبنكرياس... دعوني أريكم لماذا يستحقون خوفي** "

ضحك أدهم وهو يدفعها للأمام :" **أنتِ مجنونة ... وأحب ذلك " .**

بينما كانوا يتقدمون بحذر بين أنقاض المدينة لاحظت نورا علامات مألوفة على جدران أحدِ المباني المحترقة كانت رموز العمدة الخاصة مرسومة بدماءٍ قديمة .

همست وأصابعها ترتجف فوق الرسم :" **انظروا ..!** "

اقرب أدهم وعيناه تضيقان :" **هذا مستحيل ... لقد ألقينا به في أعمق زنزانة بعد تلك الحادثة "**

ضحك أنور ضحكة مكتومة يشوبها القلق :

" أعتقد أننا قللنا من تقدير حبه لكِ يا نورا ، حتى السجن لم يمنعه من طلبك "

انعقد حاجبي أنس لعدم فهمه مزحة أنور لكنه فضّل الصمت على خسارة عينه المتبقية .

وفجأة ... انبعث صوتٌ خشن من زقاق مظلم :" **لم أكن لأترك مدينتي ... وخاصةً لآكلة بنكرياس "** . ثم ظهر العمدة

من العتمة بوجه مشوه بالندوب وابتسامة لا تزال كالسكين ، ثم ظهر من وراءه مجموعة من رجال مسلحين بأسلحة غريبة ، مزيج من التكنولوجيا القديمة ولحوم بشرية معدّلة .

تقدمت نورا خطوة الى الأمام وعيناها تتوهجان بذلك اللمعان الغريب والذي يظهر فقط عندما تأكل البنكرياس **:"كنت أتمنى أن تموت في ذلك السجن بكرامة ... لكن يبدو أنك اخترت أن أكون آخر ما تراه "**

ـ " أنا لا أخاف من وحوشكِ الصغيرة يا نورا ، لقد أعدت تجهيز نفسي "

لم يكن هناك المزيد من الكلام فقد انفجر القتال فجأة كعاصفة من الدم والحديد ، كان أنور أول من اندفع بسيوفه اللامعة التي تشق الهواء بشراسة نحو رجال العمدة ، قطّع أول اثنين بضربة واحدة والدماء تنتثر على وجهه الضاحك **:" هل هذا كل ما لديكم ؟ "** صرخ وهو يدفن سيفه في بطن الثالث .كان في قلب العاصفة تحت شمس الظهيرة الباهتة ، يقطع

الأجساد كما لو كان يحصد قمحا تماما كالمجنون الذي وجد أخيرا معنى لحياته ... لكن الأساطير تُقتل أيضا ...

في تلك الأثناء كانت نورا تتحرك بسرعة غير بشرية كانت تشق صدور الأعداء بسكاكينها التي ترميها بخفة ،في حين كان أدهم وأنس يشكلون ثنائيا رائعا بإطلاقهم العشوائي للرصاص .

ومع قتل نورا للرجل الأخير ، رأته... رأته يلوح لها فجأة ليبتسم لها قبل أن يخترق سيف طويل ظهره بنصله الصدئ الذي خرج من بطنه وهو يقطر دما لتتوقف المعركة لحظة...

نظر إلى السيف البارز من جسد ثم الى أدهم الذي كان يقاتل على بعد خطوات منه ثم الى نورا التي تجمدت مكانها بعدها سقط على ركبتيه بينما يتدفق الدم من فمه ،همس بصعوبة : **"نورا !..."**

أدهم لم يصرخ ولم يبكِ بل تحولت عيناه الى جمرتين متوهجتين ثم تحول الى وحش يدهس كل من حوله ويضرب الأرض بقدميه محدثا زلزالا خفيفا . أما نورا فقد بدأ البنكرياس يعمل ، ارتعش جسدها كأسلاك تيار كهربائي ،عروقها اسودت

تحت الجلد وعيناها ابيضتا بالكامل ، فتحت فمها ليخرج منه صوت لا يشبه البشر **:" أنتم ... ستموتون ببطء "**

حاول العمدة الفرار لكن أدهم قفز عليه من الخلف وبدأ بطعنه طعنا بطيئا ... عشرين طعنة ... بل ثلاثين ...حتى لم يعد هناك جسد ليطعنه ، أما نورا فقد أمسكت برأس العمدة بكلتا يديها **:"هذا لأنك تجرأت عى العودة "** وبحركة واحدة فصلت جمجمته عن جسده .

على بعد مترين كان أنور يحتضر في مكانه حين ركضت نورا اليه:

ـــ" لا، لا، لا !! أنت لن تموت اليوم "

أمسك أنور بيدها بابتسامة دموية على شفتيه **:" كنت أظن... أنني سأموت على كرسي ... بعد أن أصبح عجوزا قبيحا "**

عاد أدهم الى هيئة الطفل وجثا على ركبتيه بجانبهما بيدين ترتجفان **:" لا تتـركنا أرجـــوك"** همس بصوت يكاد ينكسر.

لكن أنور كان ينظر إلى شيء خلفهم ..إلى الأفق : **" انظروا انها تمطر "**مع أن السماء كانت صافية ثم أغمض عينيه الى الأبد .

بعد تبدد تأثير البنكرياس سقطت نورا أخيرا من التعب في حين كان أدهم يجثو بجانب أنور يمسك بيده الميتة :

ـــ" **كُنتَ أحمق ... لكنك كنت أفضلنا** " . كانت نورا منهكة ومرتعشة ، زحفت نحوهما ثم نظرت الى جثة أنور ثم الى أدهم الذي كان يهمس بتكرار :" **سنحملك إلى القلعة ... سنحرقها كلها لك** "

وقفت نورا خلفه وقالت بصوتٍ كالزمهرير :

"ثم سنبحث عن كل من ساعد العمدة ،وسنأكل بنكرياساتهم أمامهم قبل أن يموتوا " أخذ أدهم سيف أنور وربطه بحزامه : **"هذا وعد !" .**

بعد حرق جثة أنور في قلعة العمدة ، وقف أدهم ونورا وسط الرماد والدخان ينظران إلى النيران التي التهمت كل شيء ، لم يكن هناك دموع فقط صمت ثقيل يحمل ألف كلمة لم تُنطق ،

فجأة التفت أدهم إلى نورا وعيناه باردتان كالحديد **:" لن أتبعكِ هذه المرة "**

لم تتفاجئ ،بل أومأت ببطء وكأنها كانت تتوقع هذا **:" أعلم "** ثم مشى كلٌّ منهم في اتجاه.

اختفت نورا لأيام ثم عثر عليها أنس ذو العين الواحدة عند حافة الجرف تنظر إلى البحر وكأنها تنتظر شيئا... أو ربما لا شيء.

جلس بجانبها دون كلام ثم أخرج قطعة خبز يابسة وكسرها إلى نصفين .

ـــ **" الجوع لن يعيده "** قالها بهدوء بينما يمد ها بنصف الخبز.

أخذتها نورا كنها لم تأكل : **" لا أريد أن أعود "**

ضحك أنس بصوته الخشن **:" لم تسأليني حتى إلى أين !! "**

رفعت عيناها نحوه للمرة الأولى منذ أيام **:" لأنني أعرف أنك ستجرني إلى الجحيم إن لزم الأمر " .**

ـ " بالضبط "

أما أدهم فقد تبخر كالضباب ، لكن المدينة لا تزال تتناقل قصصا عن رجل أسود يظهر ليلا يذبح كل من له صلة بالعمدة ،جثث تظهر مقطوعة الرأس ،وأحيانا...مفقودة القلوب .

اجتمعت نورا وأنس مع بقايا المتمردين من الشعب في سراديب المدينة ،هناك حيث اكتشفوا الحقيقة ... حقيقة أن العمدة لم يكن سوى دمية يحركها كائن قديم مختبئ في معبد تحت الأرض ، يتغذى على الفوضى وقلوب الناس، في تلك اللحظة قطع تركيزهم صوت ضحكات نورا المجنونة : "

ـ إذا كل هذا من أجل عشاء ؟!"

أدار أنس عينه الواحدة نحو الظلام وهمس :

ـ "حان وقت حرقه حيّا"

الفصل الأخير : المصنع الأسود

لم يكن البحث عن الرجل الذي يقف خلف العمدة مهمةً سهلة اذ قضت نورا برفقة أنس شهرا كاملا في تعقب الخيوط الخفية من الأحياء الفقيرة إلى السراديب المنسية تحت أنقاض المدينة .

في الأسبوع الأول اكتشفوا أن الرجل كان يُدعى " **الخياط** " ليس لأنه يخيط الملابس بل لأنه كان يجمع أجزاء البشر لصنع شيء جديد ، كانت نورا تتبع رائحة الأحشاء الفاسدة التي تركها وراءه في حين كان أنس يتعقب القصص المرعبة التي تروى في الحانات عن ظل يخطف الناس...وفي ليلة ماطرة وجدوا المكان.

كان مبنى قديمًا يُفترض أنه مهجور لكن الأضواء الخافتة تلمع من شقوق النوافذ المغلقة ، عندما دخلوا وجدوا جدرانًا مغطاة بجلود بشرية مجففة وأرففا مليئة ببرطمانات تحوي أعضاءً طافية في سوائل صفراء .

وفي المنتصف وقف الخياط، رجل طويل ونحيل ، يرتدي معطفا من جلد بشري بوجه مغطى بقناع من جلد وجه آخر : **" أخيرا ... جاءت آكلة البنكرياس لتكمل وجبتها "** قالها بصوت يشبه صوت طفل وامرأة وعجوز في آن واحد ثم أكمل **:" لقد أكلتِ بنكرياس رجالي ...والآن سآكل قلبك "**

ببرود قاتل واجهته نورا بشجاعة قائلة **:" أتعلم ؟ ... ذكرتني بعدوتي الأولى ،كنت متشوقة لأكل بنكرياسها لكن خاب أملي عندما وجدته متعفنا وقد أكله الدود "**

اندفع نحوه أنس بشراسة لكن الخياط كان سريعا كالثعبان استطاع أن يتجاوزهما بسهولة لكن أنس داهمه في لحظة غير متوقعة وقطع يده ... لكن الذراع نبتت من جديد ، أما نورا فقد هاجمت بشراسة لكن كل جرح تسببه له كان يُشفى خلال ثوني . ضحك الخياط **: " أنا لا أموت ...لأنني لست حيًّا أساسا "**

لكن نورا لم تبالي لِم يقوله وواصلت طعنه الى أن مزقت صدره أخيرا وبدلا من القلب رأت بنكرياسا أسود ينبض كعضو حي وبدلا من الدم وجدت سائلا أسود كحبر الأخطبوط ،أدخلت

يدها الى جوفه وسحبت ذلك البنكرياس وأكلته أمامه حيث صرخ بقوة **:" أنا لست الوحيد... هناك خياطون في كل مدينة"**

ثم تحول الى سرب من الذباب الأسود الذي حلق وتلاشى بعيدا . وبعد أن ابتلعته رأت كل شئء ... عرفت كل مكان اختبئوا فيه ... شعرت بهم داخل عقلها . وفجأة انفجر ألم لا يطاق في جمجمتها ثم سقطت أرضا فاقدة للوعي .

فتحت عينيها بثقل شديد لتجد نفسها في سرير بالمستشفى وأنس جالس بجانبها يشحذ سيفه مرارا وتكرارا.

ـــ " لقد غبتِ عن الوعي أسبوعا كاملا وأنا وجدتكِ بين الأنقاض "

ـــ " لكن ... المعركة ؟ الخياط ؟ "

ـــ " لقد ألقى الخياط عليكِ تعويذة جعلتكِ تثورين ضدنا ،وفي اللحظة التي عاد فيها أدهم ..." ثم قطع كلامه كما وكأنه ندم على ما قاله لكن نورا أمسكت ياقة قميصه وهزته بعنف :

ـــ " **أكمل لماذا توقفت ... ما به أدهم ؟** "

استجمع أنفاسه ولملم كرامته ثم قال بسرعة ليهرب من عينيها الحادتين " **في اللحظة التي عاد فيه أدهم قمتِ بقتله ...**"

هناك في الزاوية ، ظل أدهم يراقب بصمت بجسده الشفاف ،مدت يدها نحوه لكن أصابعها مرت خلاله ، بينما أنس لم يبدُ منزعجًا لأنه لم يكن يراه ...

تمت بفضل الله

انتظروا الجــزء التالي :

"حيث يسكن الجوع"